6 me Année, No. 271

Lundi - 12 - 9 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٧١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ رجب سنة ١٣٥٧ — ١٢ سبتمبر سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

إنهاض اللغة العربية

للدكتور زكى مبارك

أخى الأستاذ الزيات

جرى قلمك بإضافة اسمى إلى المؤلفين الذين نسيتهم لجنة إنهاض اللغة العربية ، وذلك منك تفضُّل وتلطُّف . فمن الغريب حقاً أن أخطر على بالك أو على بال غيرك ، ومالى وسيلة فى هذه البلاد غير الكدح الموصول فى التفكير والتأليف ، وهى وسيلة ضعيفة فى زمن لا ينفع فيه غير تضييع الوقت فى خلق الصداقات والمودات مع الذين يملكون تأليف اللجان لتقرير مصاير العلوم والآداب والفنون

وأنت قد تشجعت فقلت ما قلت لأنك خارج القفص

أما أنا فأعيش فى القفص لأنى موظف فى الحكومة المصرية، وقد سمعت أنها حكومة رقيقة القلب يؤذيها أن يمرّ النسيم على خدها الأسيل !

ومن واجبى أن أتلطف بهذه الحكومة وأترفق ، وإلاّ كان جزائى أن أخرج من القفص لأعيش كما كنت أعيش بين الأزهار والرياحين

ولكن الحكومة أمكنتنى من ناصيتها هذه المرة ؛ لأنها فى هذه القضية ممثَّلة فى جماعة من الأدباء كنا نطلع لمحادثتهم

ومسايرتهم منذ حين . ومن ذا الذى يتوهم أنى أعجز عن مصاولة على الجارم أو أحمد أمين ، وهم خَــلْقٌ من خَــلْق الشعر والنثر والتأليف ؟ من ذا الذى يتوهم أنى أتهيب مناوشة القائمين بتأليف اللجان فى وزارة المعارف وفى يدى قلم أمضى من السيف وأحدّ من السنان ؟

أعترف بأنى قد أتردد فى الهجوم على وزير المعارف لأنه يملك إيذائى حين يشاء

ولكن وزير المعارف فى هذه المرة زميل قديم . وللزمالة وإن قدُمتْ حقوق . وهو قد شغل نفسه فى الأعوام الأخيرة بدرس الدين الحنيف ، ولا بدّ أن يكون عرف أن لصاحب الحق مقالا ، وصاحب الحق فى قضية اليوم هو مؤلف النثر الفنى ، الكتاب الذى استحق أن يثنى عليه معالى الدكتور هيكل باشا فى مجلة الهلال

ولكن ماذا صنعت لجنة إنهاض اللغة العربيــة حتى توجه إليها الملام ؟

إنها اختارت طوائف من المؤلفات الحـديثة فأقرت مبدأ تعبنا فى الدعوة إليه منذ سنين فلها منا أطيب الحمد وأجزل الثناء

وأنت تعيبُ عليها أنها نسيتك ونسيتنى ، واللوم فى هــذا علىّ وعليك ، لأننا لم نحسن التذكير بأنفسنا عند السيدين الكريمين على الجارم وأحمد أمين

وأخشى أن نكون أسأنا اختيار الظرف المناسب للتذكير المنشود ، فهؤلاء الزملاء علــكون ما لا نملك ، وكان العقل يقضى أن ننتظر حتى يتفضلوا بالاعتراف بأننا بَشرٌ مثلهم نــكتب وننظم ونؤلف !

وكلمة « زملاء » تسبق إلى قلمى بلا تحفظ ، لأنى واثق بأنهم أكرم وألطف من أن يبخلوا علينا بهذا التطاول الخفيف !

إن لجنة إنهاض اللغة العربية فوق الشبهات ، ولكنى لا أفهم كيف جاز أن تقرر كتاب ضحى الاسلام وتنسى كتاب النثر الفنى مع أن كتاب ضحى الاسلام لا علاقة له بتقويم الأساليب

ومن الصعب علىّ أن أقبل أن يكون فى اللغة العربية كتاب يشبه كتاب النثر الفنى ، ولكنى راضٍ للضرورة بأن يكون قريباً لكتاب ضحى الاسلام . أنا راضٍ بأن أكون من زملاء الأستاذ احمد امين فى قوة التأليف ليصل كتابى عن طريق وزارة المعارف إلى الجيل الحديث ، إن كان التواضع ينفعنى عند أولئك الناس

وأين كانت اللجنة من كتاب (الموازنة بين الشعراء) ؟

دلونى متى عرف النقد الأدبى مثل هذا الكتاب ؟

إن الحياة فى مصر أصبحت جحيما لايحتمل ولايطاق بفضل ما يقع فيها من الاستهانة بآثار العقول . وأخشى إن طال هذا الليل أن تنقرض حياة التفكير والتأليف ، وأن ينفض الباحثون أيديهم من الثقة بموازين العدل فى هذه البلاد

إن مصر لا نعرف أنها مدينة بسمعتها الأدبية والعلمية إلى رجال يُعــدُّون بالآحاد لا بالعشرات ولا بالمئات ولا بالألوف ، وهؤلاء الآحاد ينفقون من أعصابهم ودمائهم ليحفظوا لمصر مكانتها العلمية بين الأمم العربية

وما يليق بمصر أن تترك مصاير هؤلاء الآحاد لرجل أو رجلين يسمى أولهما على الجارم وثانيهما أحمد أمين

ما يليق بمصر أن تسكت عن أبنائها الأوفياء حتى يصرخوا من الظلم والإجحاف

ما يليق بمصر أن يعرف علماؤها وأدباؤها أن لا حياة لهم إلا أن ضحّوا ذاتياتهم بالفناء فى خدمة الأحزاب

أما بعــد فأنا لا أنتظر شيئاً من وزارة المعارف ، ويكفى ما ظفرت به من القراء الذين استطعت بفضل إقبالهم أن أقول إن فى مؤلفاتى ما طبع مرتين وما طبع ثلاث مرات

هذا عصر التضحية يا صديقى ، وهذه مصر التى لا تعرف أبناءها الأوفياء

فان سمعت أننا قهرنا المصاعب فصدّق

وإن سمعت أننا أمِنّا عُدوان الأحقاد والضغائن فصدق أيضاً

صدق كل شىء يا صديقى ، إلا شيئاً واحداً ، هو ما تسمع أحياناً من اعتدال الموازين

وكل ما أرجوه فى ختام هــذه الكلمة الوجيزة أن تسكت عنى سكوتاً مطلقاً فلا تذكرنى بهمومى فى وطنى وبين أهلى

لقد كنت نسيت فــكيف جاز لك أن تصنع ما صنعت !

وهل كان الأمل فى إنصاف الزملاء إلا باباً من الخيبة والضياع؟

إن أرزاقنا فى أسِنَّة أقلامنا ، وسنصبر بعون الله على الصدق فى الجهــاد

والعاقبة للصابرين والصادقين .

« مصر الجديدة » زكى مبارك

في الطريق الى مؤتمر المستشرقين

من القاهرة الى بروكسل

للدكتور عبد الوهاب عزام

بنيتي العزيزة بثينة

أحدثك عن رحلتي راجيا ألا تكلفيني ترتيب الحديث على ترتيب المشاهد . فانما هي فُرص تنتهز . فسأبدأ بالحديث عن سويسرة قبل الحديث عما رأيت في الطريق إليها .

***

أكتب إليك من قرية في قمم جبال سويسرة الشامخة اسمها برجينشتوك وقد أضحى النهار ، والدَّجْن مُطبق ، والجوّ بارد ، أحسّ منه مثل ما أحس في شتاء مصر إذا قرس . وأنا أضع قلمي بين الحين والحين لأعرك كفّي إحداهما بالأخرى حتى أحسن إمساك القلم . فشتان ما بيني وبينكم ؛ شتان ما بين حلوان وبُرجنْشتوك !

لا تقع العين هنا إلا على خضرة أو زُرقة ، أو بياض : خضرة العشب الأثيث ، والشجر الكثيف ، وزرقة السماء إذا تصحو ، وزرقة البحيرات ترى من قمم الجبال بعيدة بعد السماء ، وبياض السحب .

تسألين : ما الذي أحلك هـذه القرية الباردة في تلك القمم العالية ؟

نزلت أنا وزميلي الأستاذ أحمد أمين مدينة لوسرن من سويسرة ، وأردنا أن نركب في البحيرة : بحيرة لوسرن إلى مكان قريب . فقيل : كِرْسِيتن . فقصدناها على باخرة صغيرة بين مناظر معجبة بل مدهشة من جبال تخالط قممها السحب ، وتزين سفوحها حللٌ من الأشجار ضافيةٌ في الماء ، وتُطلّ في مرآة البحيرة منازل متفرقة أو قرى صغيرة كأنها أعشاش الطير بين أفنان الدوح

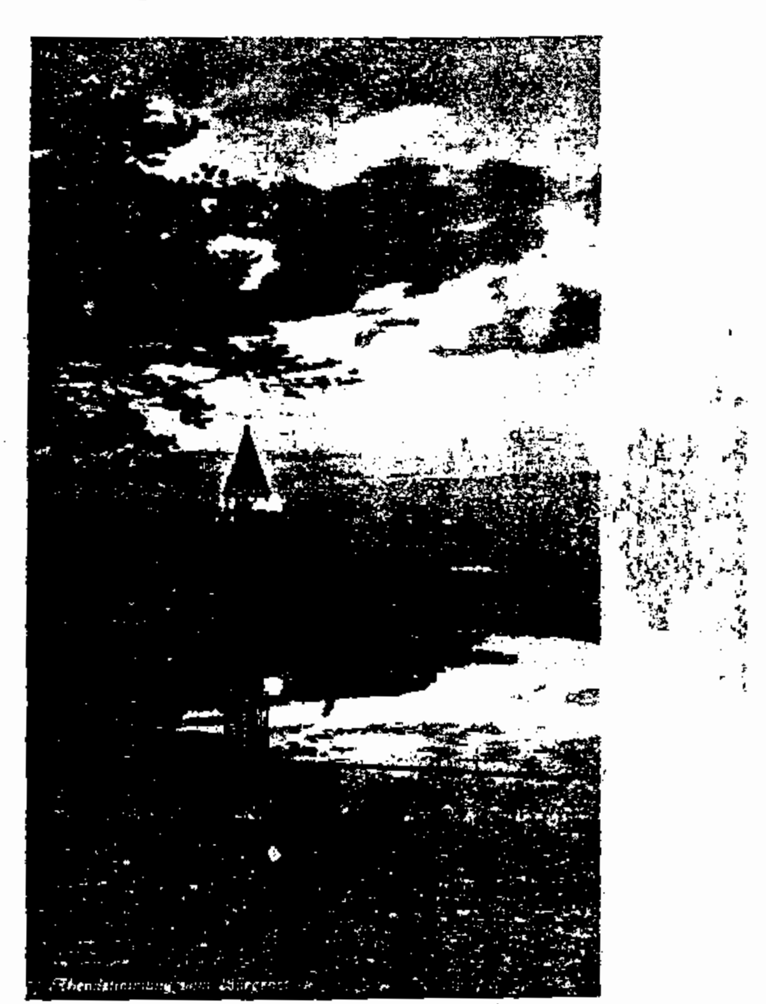
بلغنا كرسيتن بعد أربعين دقيقة ، فنزلنا لنتجول فيها قليلا فاذا شاطىء ضيق بين الماء والجبل ، فيه فندق ومطعم ودوو خليلة ، وإذا الناس يجتمعون عنـد السفح ، وإذا مركب عجيب مُـدّت أمامه قضبان من الحديد ، ولـكن إلى أين ؟ إلى ذروة الجبل الرفيعة التي يكاد الطرف يعيا دونها . مدت القضبان على السفح ، وأعـدّ هذا المركب على شكل لا يميـل راكبه مع انحدار الطريق بل يجلس مستويا كأنه في قطار عاديّ . ويجذب هذه « المرقاة » حبل من حديد مفتول فتصعد خمس دقائق في طريق ضيق عن يساره الجبل ، وعن يمينه مهوى هائل إلى الحضيض . انتهى بنا هذا المرتقى المخيف إلى مكان به فنادق عظيمة وطريق ضيقة معبدة ، فسرنا نتأمل جمـال الخليقة وجلالها حتى راقنا مكان قصيّ على سفح أخضر ؛ فصمدنا إليه ، وأخـذنا حظنا من الراحة والتأمّـل والتعجب . وكان معنا طعامنا فطعمنا



(منظر عام لبحيرة لوسرن ومدينة لوسرن)

وسرنا إلى مَرْقَب يُطل على البحيرة يعلو على البحر ثلاثة آلاف وأربعمائة قدم ، فجلسنا قليـلا ولحق بنا جماعة من السائحين الأمريكانيين معهم امرأة تعلم الطريق والتاريخ . وقفت وحفّـوا حولها فقالت : « هنا منظر من أروع مناظر العالم ؛ هنا سبع بحيرات ؛ إلى اليسار بحيرة سمباخ . ولها صيت في تاريخ سويسرة : هنا كانت حرب بين النمساويين والسويسريين الذائدين عن بلادهم ، وكان الأولون مثلي الآخرين عدداً . فلما أعيت السويسريين الحيل تقدم واحد منهم إلى معسكر العدو فجمع من رماحهم ما استطاع وهم بالرجوع لولا أن أدركه العدو فقتله . وتحمس قومه وحاربوا حتى ظفروا . هذا البطل اسمه «وينكل ريد» . ومضت في حديثها عن البحيرات . وقد رأيت اسم هذا البطل على إحدى البواخر الماخرات في البحيرة

وقرأنا في لوحة هناك أن على مسيرة عشرين دقيقة مِصعداً هو أعلى المصاعد وأسرعها فى أوربا . يصعد خمسمائة وستا وخمسين قدماً . فسرنا فى طريق بين الأشجار الباسقة تلوح من خلالها زرقة السماء وزرقة البحيرة ، وقد تتابعت الأشجار على السفح هابطة، وإن الواحدة منها ليرى جذعها مُستقلا بعيداً على السفح، وتشرف ذروتها مُمتلية مُشرفة فوق الطريق . وهذه الأشجار السامقة ترى من الحضيض كأنها أعشاب على السفح أو شجيرات



(المصعد)

وانتهى المسير إلى المصعد ، فاذا قضبان محكمة على جانب الجبل يصعد بها هذا المصعد وينزل في دقيقة. يصعد فى جوف الجبل حيناً ثم يبدو بين جدارين ناتئين من السفح، ثم يظهر معلقاً فى اللوح كأنه طائر يحاول ذروة شاهقة

بدا لنا أن نترك لوسرن لنقيم فى هذه الناحية أياماً . فسرنا نرود المكان وفنادقه حتى وقف بنا الاختيار على فندق صغير منفرد هو أقرب مكاناً ومنظرا إلى الريف منه إلى المدن . فقلنا : هذا منزل حسن .. ماذا نصنع بالمدن وهى متشابهة فى العالم كله ؟ وماذا نرى فى الفنادق الكبيرة وهى لاتختلف بين مدينة وأخرى إلا قليلا ؟ هنا نظفر بالهدوء والسكون ، ونقرب من الغابات والحقول ونرى من عادات القوم ما لا نرى فى لوسرن

وجاءت الخادم تكلمنا بلغتها وهى لا تعرف لغة مما نعرف فتفاهمنا بالألفاظ المتقاربة بين الانكليزية والفرنسية وبين السويسرية، ولمحنا فى جانب الحجرة رجلا أشيب فأشرنا إليه ليكلمنا فأشارت الخادم أنه أصم فقلت : « كالمستجير من الخرساء بالصمم »

أخذنا بعض متاعنا من لوسرن إلى برجنشتوك . وبلغنا الفندق حين الغداء (والساعة اثنتا عشرة وربع) دخلنا قاعة الطعام فاذا امرأتان ليس فى القاعة غيرهما ، وقد أعد لنا الطعام معهما . وليس بيننا لغة إلا الاشارات وكلمات حائرة بين ما نعرف وما تعرفان من اللغات . وقدم اللحم فرابنى بياضه . فأشرت : أى لحم هذا ؟ قالت إحداهما كلاماً وحكت صوت الخنزير — وهذا الخنزير يخيفنى حيثما حللت من أوربا — أشرت أننا لا نأكل الخنزير . قالت المرأة الأخرى لصاحبتها : إسرائيليان . قلت : لا لا ، لا ، ولكن المصريين لا يطعمون لحم الخنزير . فكانت حركة فى الفندق وارتباك . ثم قدم لنا لحم البقر سريعاً . وفى العشاء قدم إلينا الكاكاو وكثير من اللبن وعجة البيض وفاكهة مطبوخة ورأينا القوم يأكلون العجة مع الفاكهة فعجبنا من اختلاف العادات والأذواق .

استرحنا ثم نزلنا لنخرج فدعينا إلى شرب القهوة وقدم لكل واحد مع القهوة ملء كوب من اللبن الجيد ، واللبن عندهم موفور لكثرة البقر وقرب مراتعها ، وأصحاب الفندق أسرة من الفلاحين

وكنا حين قدمنا هذا الصقع لأول مرة ، سمعنا جلجلة أجراس مختلفة لا تنقطع فحزرت ، وصدق الحزر ، أنها أجراس فى أعناق البقر أو الغنم . (وكنت رأيت فى إصفهان من بلاد الفرس أجراساً فى أعناق الابل والثيران ، ورأيت البدو يعلقون جرساً فى رقبة الكبش تهتدى به الغنم وتجتمع على صوته؛ ورأيت هذا فى مضارب قبيلة شمّر فى العراق وعلمت أنهم يسمون هذا

الكبش الرباع) فلما استقر بنا المقام فى الفندق أردنا أن نجوس خلال الحقول لنرى البقر فى مراتعها . وكانت أجراسها تجلجل فى الأرجاء بين هذا الجمال الأخضر والجلال الرائع ، بل فى هذا المعبد العظيم من الخليقة فكأنها أجراس المعابد !

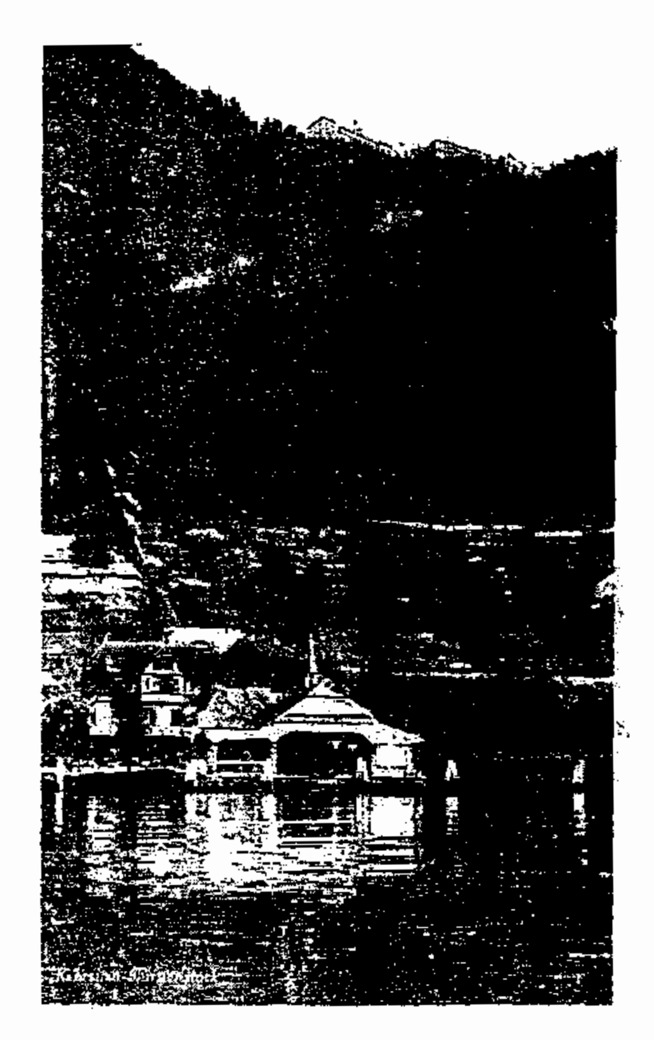
سرنا بين المروج فرأيناها مقسمة بحواجز . كأن لكل بيت مساحة من المرعى ، ورأينا على الطريق أبواباً تمنع البقر أن تجاوز مراعيها . ثم رأينا بقراً يرعى وقد جعلت أجراسها على قدر أسنانها : للعجل جرس صغير ، وللثنيّ جرس أكبر منه ، وللبقرة الفارض جرس كبير كأنه القدح . ورأينا حظائر للبقر تأوى إليها فى الشتاء ، وهى بيت من الحجر فيه قنوات لسيل الماء ، وعنده حوض لشرب الدواب ، وفوقه بيت من الخشب يوضع فيه الحشيش وأدوات الفلاحة . وتجعل الحظائر بجانب مكان عال ليتسنى دخول عربة الفلاح إلى الطبقة العليا . وبيوت الفلاحين جميلة المرأى يتجلى فيها النظافة والترتيب والنعمة . وكم تمنيت أن يكون لفلاحنا بعض ما لهؤلاء

ورأينا على الطريق نُصباً عليه صليب ، فاقتربنا منه فاذا حجر واحد نحتت فى أعلاه طاقة عليها شباك من الحديد . فاطلعنا فيها فاذا صورة قديس وقديسة ، ورأينا امرأة مرت بهذا النصب فوقفت قليلا تتعبّد ، وكأن كل من يمر بهذا الطريق يقف هناك وقفة للعبادة . وكذلك رأينا بجانب الفندق بَنِيّة صغيرة يعلوها صليب ، فاطلعنا فيها فاذا معبد يتسع لبضعة نفر ، وأحسبناه معبد الأسرة التى تقوم على الفندق . وهكذا يحرص القوم على دينهم ويتوسلون إلى العبادة بكل الوسائل

وأما الفندق فهو مثل من نشاط القوم ونظافتهم ونظامهم . هناك أم كثيرة الأولاد قد أحسنت تربيتهم ، ومنحت من قلبها ويدها ما جعلهم قرة عين الرائى صحة وجمالا ونظافة . وهى قائمة على الفندق تسيّرها خادم واحدة لا ترى إلا ساعية أو عاملة أو متكلمة أو ضاحكة . وقد تبوأت الأسرة بعض الفندق وجعلت النزّال بعضه ، ولم تنس حقها ولا حق النزال من رفاهية ومتاع . وأنا أكتب الآن وقد جاء صبى من هذه الأسرة يطرب الحاضرين بموسيقاه . وهكذا يبدو النشاط والمرح والسرور ليل نهار

وحول الفندق أشجار الفاكهة ، ومزرعة صغيرة عليها سياج ومن هذه الأشجار وهذه المزرعة فاكهة الفندق وبقوله يجنيها الأولاد كما تأمرهم الأم

وأحدثك مرة أخرى عن روعة هذا الصقع فقد بدا لى أن أعود إلى هذا الحديث :



قرية كرسين على بحيرة لوسرن

خرجنا عصر اليوم فسرنا إلى المصعد الذى وصفته آنفاً فى طريق ضيقة نحتت على سفح الجبل ينيف فوقها جبل شامخ وتبدو تحتها هوة هائلة . فلما جاوزنا المصعد تمادت بنا الطريق صاعدة فى السفح تخترق الجبل بين الحين والحين إذا لا تجد على السفح منفذاً . فلما أعجز القوم النحت فى مواضع من هذا الطود العاتى الأشمّ مدّوا الطريق على دُعم من الحديد مثبتة فى الجبل ، فترى السائر معلقاً بين السماء والأرض على هذه الشقة الضيقة حتى يبلغ الغاية

وقصارى القول أن تسخير الانسان للخليقة سهلها ووعرها

وصعبها وسهلها ، وشجرها وزرعها ، وبرّها وبحرها ، يبدو للسائر هنا فى كل خطوة ، بل لست أدرى أأقول : هنا جهاد الانسان والخليقة أو اصطلاحهما على العمل والسعادة ؟

ولا أنس جلسة فى العشىّ ونحن عائدون إلى الفندق وقد جلل الضباب الخليقة ، وأطبقت السحب وأسفّ بعضها دون القمم ، وتتابعت على العين قمم الجبال تسيل منها النضرة والجمال على السفوح ، والمساكن والفنادق منثورة فى هذه المرائى المدهشة ! منظر لا يمكن وصفه ، ولا يدركه إلا من يراه !

لا ينقص هذا الجمال إلا أن تكونى أنت وأخواتك معى فأرى دقائقه بأعينكن ، وأسمع بيانه البليغ من أفواهكن . فليت ثم ليت !

« جلشتو » عبد الوهاب عزام

فى « الحب »

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

— ١ —

« يا أخى ، أقول لك الحق وأمرى إلى الله ، أنا لا أعرف الحب ، ولا أستطيع أن أحب ، ولم يخلقنى الله لأحب ، فأنا على الأرجح مخلوق ممسوخ ، أو هذه الخلائق هى المسيخة إذا صدق ما يزعمون عن الحب وما يعانون من تدليهه ؟ »

فهز صاحبي رأسه مفكراً وسألنى : « وابراهيم الكاتب؟ »

فقلت : « ابراهيم الكاتب مخلوق لا حقيقة له ... أنا الذى خلقته ، فاذا كنت لم أحسن خلقه فاعذرنى ، فانها أول تجربة لى فى « الخلق » . ومع ذلك أدر عينيك فى الغادين علينا والغاديات والرائحين والرائحات ، وتدبر نفوسهم إذا استطعت ، واعذرنى ! وأحسبك تريد أن تزعم أنى وصفت حب ابراهيم هذا ، أومعاشقه ، وأن هذا وصف خبير . ربما ! الحقيقة أنى نسيت حكاية ابراهيم هذا ، ولكنى واثق أن عقله لم يطر من الحب ، ولبه لم يُزدهف ، وأنه كان يعرف القيمة الحقيقية لكل واحدة ممن أحب ، وكان يستطيع أن يكبح نفسه ويصرفها »

فكابر بالخلاف ، فتركت له الصفقة ، إيثاراً للراحة من عناء الجدل الذى لا طائل تحته ، وأردت أن أستطرد عن هذا الموضوع إلى سواه ، فأبى أن يدعنى أهرب ، فدار بى فعاد إلى الحب ، فقلت له : « إنى أراك جائعاً » قال : « جائع ؟ أبداً »

قلت : « والله جائع ، ومتضور أيضاً ... » ووضعت إصبعى على قلبه : « هنا فراغ أسميه أنا جوعاً ، فأنت لهذا فيما أرجح ، تجد لذة فى الكلام فى الحب الذى حرمت ماتتوهمه نعمته . . . اعترف ! »

قال بضحك : « ليتنى أكون محباً محبوباً ... الحقيقة ان حياتى صحراء جرداء »

قلت : « اشكر الله ، واسأله دوام هذه النعمة . »

قال : « يا شيخ ، حرام عليك ! »

قلت : « والله إنى أريد لك الخير ، أو اسمع ، إذا كان لا بد من هذا ، فأحبب أنت كما تشاء ، فان أمرك يبقى بيدك ، ولكن إياك أن تكون محبوباً من امرأة ، فان هذا هو العذاب الغليظ »

فظننى أمزح ، فقلت : « لا والله . وإنى فى هذا لأتكلم بلسان الخبير المسكين . هل تصدق أن امرأة فى هذه الدنيا يبلغ من قلة عقلها أن تترك الناس جميعاً وتحبنى أنا ؟ »

قال : « ولم لا ؟ هذا جائز »

قلت : « جائز ... وهل أنا أتكلم فى الجائز وغير الجائز ؟ جائز أيضاً أن تصح ساقى المهيضة ، وتسلم ؛ وجائز أن تطول قامتى وتعرض ألواحى ، وأن أصبح مصارعاً ومن أبطال العالم فى هذا الباب ... ولكن تصور عقل هذه الفتاة المسكينة ! وتصور موقفى أنا حيالها ... أنا الذى ليس له طاقة على الحب ولا صبر لى على ما يغرى به من الحماقات والسخافات . أقول لها مثلاً ، وأنا أناشدها أن تثوب إلى رشدها : « يا ستى ! يا حبيبتى ! أين ذهب عقلك ؟ » فتترك السؤال ... لا تسمعه فى الحقيقة ... وتصيح وتلوح بيديها وتقول : « حبيبتك ! ؟ هذه أول مرة أسمع فيها منك هذا اللفظ الجميل ... أعده على سمعى ... أرجو » فأدهش من سوء التأويل وأقول لها : « يا ستى إنما عنيت ... لم أعن شيئاً فى الحقيقة ... مثل قولى يا صديقتى لا أكثر » فتقطب وتقول « خيبت أملى ! لماذا تأبى على حتى أن أسعد بلفظ ؟ » فأقول :

« يا ستى والله ما أكره لك السعادة ولا أنا آباها عليك لو كان بيدى إسعادك ؛ ولكنى لا أستطيع أن أكذب عليك ، وعلى نفسى ... هذا الحب شىء لا قبل لى به » فتقول : « ولكنى أريده » فأقول : « إذن التمسيه عند غيرى ... اطلبيه من دكان آخر » فتغالط نفسها وتقول : « أنت هكذا دائماً .. مكابر .. هذا أنت ... بس أريد أن أعرف ماذا تخسر إذا اعترفت ؟ » فأقول : « وكيف أعترف بما لا أحس به ؟ » فتروح تحاورنى وتداورنى ، وفى ظنها أنى أغالطها وأكذب عليها ، أو أن بى كبرا يمنعنى من الاقرار لها بحبها ، وتمسح لى شعرى ... أعنى الشعرات العشر الباقية فى رأسى ... وتربت على كتفى برقة فأضحك ، فتدير إلىّ محياها الدقيق وعلى ثغرها الرقيق اللين ابتسامة سرور ، وفى عينيها ومضة أمل ، فأقول ، وأنا أرد القهقهة التى أحس أنى أوشك أن أنفجر بها: «أترانى لعبة؟» فتقول « لعبة ؟ أستغفر الله ! لماذا تقول هذا ؟ أنت عندى ...» فأقاطعها وأقول « دعى هذا ... فانى أعرف منزلتى التى لا تدانيها منزلة . ولكن أن تمسحى لى شعرى ؟ أين هذا الشعر الذى تمسحينه ؟ سبع شعرات ونصف شعرة ! ومع ذلك أقول لك الحق : أنا أستحيى أن أراك تصنعين هذا ... أحس — لا أدرى لماذا ؟ — أني ارتددت طفلا صغيرا تلاعبينه ... » فتقاطعنى هى وتقول « يسرنى أن ألاعبك .. أن تكون لعبتى ! » فأقول : « أما الملاعبة فأنا فيها خادمك المطيع ، تعالى نلعب كما تشائين ... ولكن أن تلعبى أنت بى أنا ... ؟ هذا لا يكون ... لا استكبارا منى ، بل لأن طباعى ، وفطرتي لا تساعد على هذا ... ثم كيف تلعبين بى ؟ أأنا كرة ؟ أم ماذا ! ألا ترين أن هذا كلام فارغ ، وأنا نضيع الوقت فيما لا خير فيه ولا متعة ؟ أولى بنا أن نضحك ، ونلعب ... »

فتعود إلى رأس البلاء وتقول « ولكن لماذا تكره الكلام فى الحب ؟ أليس لذيذا ؟ »

فأقول « لست أكره شيئا ، وإنه ليسرنى أن يكون مدار حديثنا على شرط ألا أكون أنا مداره ! ثم قولى لى ، أليس فى عينك نظر ؟ »

فتعبس وتهز رأسها مستفسرة فأقول : « تحبيننى أنا ؟ ياخبر اسود ! وهل خلت الدنيا من الناس فلم تجدى سواى ؟ »

فتطمئن وتضحك ، وتقول « أنت متواضع .. جدا »

فأقول «ياستى والله أبدا ... إن بى كبرا أن يكون بى كبر . ولكن الحقيقة أنك بلهاء أو لا أدرى ماذا دهاك ... »

فتسأل بلا مناسبة : « لماذا لا تحبنى ؟ »

فأقول: « هذا سؤال غريب ... طيب اسمعى .. أنا لا أحبك لأنى لست عدوك ! »

فتصيح : « ايه ؟ »

فأقول : « تمام . الحب فى لغتنا لفظ سقط منه حرف ... كان يجب أن يسمى الحرب ! »

« حرب ؟ »

« أى نعم يا مولاتى ! لأنه ضرب من الجوع »

« جوع ؟ »

« أى نعم مرة أخرى يا مولاتي .. تجوعين فتشتهين الملوخية بالأرانب ، أو الأوز ، وتجوعين جوعاً آخر فتشتهين رجلا ... وأنت تحبين الملوخية ، ولكن ليس بينكما مودة متبادلة ، وإنما العلاقة بينكما علاقة آكل بمأكول ؛ وكذلك الجوع الذي نسميه الحب ، فانه ليس أكثر من رغبة فى الاستيلاء على مخلوق آخر أو التهامه إذا شئت . وإذا كان الحب متبادلا فان معنى هذا أن الحرب معلنة من الجانبين — كل جانب يريد أن يستحوذ على الجانب الآخر بأسلحة شتى ، منها الغزل والقبل والعناق والضم وغير ذلك من وسائل التليين ... »

قالت : « لا أصدق هذا الكلام الفارغ »

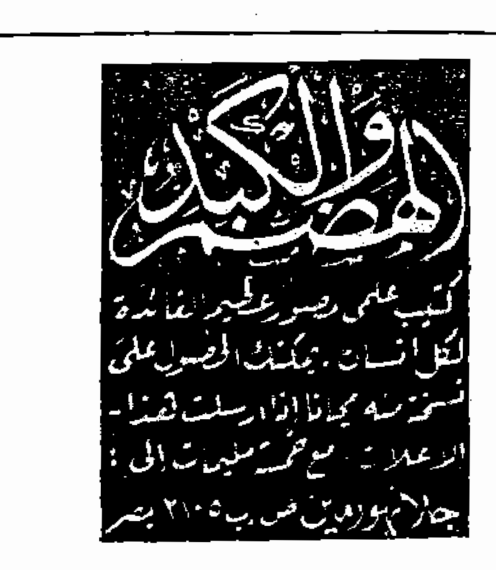
قلت : « سامحك الله . وخذى كلاماً آخر لا تصدقينه ... كما أن الانسان لا يستطيع أن يصبر على طعام واحد ، فلا يأكل سوى الملوخية مثلا ، كذلك لا صبر للانسان على امرأة واحدة. وصدق هذا أو لا تصدقيه ، فأنت حرة ؛ ولكن ثقى أن من يقول لك غير هذا يكون خادعاً أو مخدوعاً : خادعاً إذا كان يدرك الحقائق ، ومخدوعاً إذا كان مثلى يأبى أن يواجهها ، وأنا أعرف منك بالحياة وأخبر . الرجال جميعاً خوانون غدارون — إذا صح أن نسمى غدراً وخيانة ما ليس سوى نزول منهم على حكم الطبيعة »

فقالت بسرعة : « هذا صحيح ... كلهم خائن »

قلت : « لا تعجلي فالنساء أيضاً مثل الرجال . والطبيعة واحدة يا ستي ! » فلم تقتنع يا أخي ، وقد تعبت ومللت ، وخطر لي مراراً أن أتركها وشأنها ، ولم أكتمها أني ضجرت من هذا الحب ، ولكني أشفق عليها وإن كان هذا الحب منها يغيظني ويحنقني . وما ذنبها إذا كانت لا تستطيع أن تدرك هذا الذي أبينه لها ؟ ؟ ثم إن عقولهن غير عقولنا — نحن الرجال عقولنا في رءوسنا ، أو نحن على الأقل نتوهم ذلك ، أما النساء فعقولهن ليست في رءوسهن — هذا محقق — وقد قلت هذا مرة ، فثارت علي فتاة ذكية جميلة مثقفة وسألتني وهي محنقة « أين إذن عقل المرأة إذا لم يكن في رأسها ؟ » فحرت كيف أجيب ، وكان الجواب حاضراً ولكن الافصاح عنه لاسبيل إليه ، وألهمني الله أن أخرج من المأزق بقولي « عقولهن في قلوبهن » فأرضاها هذا التعبير الحسن عن معنى يعده الجهلة شيئاً وما هو بسيء ، وإنما هو الطبيعي . فكيف تريد مني وهذا تصوري للأشياء أن أعرف الحب كما تريد النساء والشبان أن أعرفه ... خيالات وأوهاماً وأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان ، ووفاء وحفاظاً إلى آخر هذا المراء الذي لا يكون ؟ ؟

فهز رأسه متعجباً ، ولم يقل شيئاً ، فحمدت الله ، واغتنمت فرصة سكوته واستأذنت في الانصراف

ابراهيم عبد القادر المازني



الدين والأخلاق

بين الجديد والقديم

لأحد أساطين الأدب الحديث

— ٤ —

لو أن الأستاذ النمراوي فحص عن أخلاق أمة من الأمم في نفوس آحادها لوجد اتفاقاً أو شبه اتفاق في خصائص تلك الأمة. ولا نعني بالخصائص أنها تفردت بأخلاق لا يوجد مثلها في أمة أخرى، فان الأخلاق شائعة في النفوس البشرية، وإنما نعني أن تلك الأخلاق أكثر شيوعاً فيها بالرغم من تفاوت نفوس آحادها في خصال الحمد والذم والخير والشر، ويستوي في تلك الخصائص من يقرأ فلسفة هربرت سبنسر ومن يقرأ كتب الغزالي، ومن يقرأ شعر شكسبير ومن يقرأ شعر المتنبي ؛ فان تلك الخصائص المتوارثة لها عدوى تذيعها في البيئة الواحدة وهي راسخة لا تغيرها أيام ولا سنوات قليلة ، وأسبابها حوادث وشرائع اجتماعية ظلت تؤثر في الأمة زمناً طويلا .

فاذا نظر إلى أخلاق البيئة المصرية وفحص عنها على ضوء هذه الحقيقة وجد أن الخصائص الخلقية شائعة يشترك فيها العظيم والحقير، ويشترك فيها الشيخ والأفندي كما يشترك فيها الفلاح وساكن المدينة بالرغم من التفاوت الظاهري في العادات وفي مقادير رسوخ هذه الخصائص أو المقادير التي تظهر بها وإن كان التشابه في مقاديرها الكامنة أعظم . وأوجه الاختلاف الظاهري تظل ملازمة للمرء ملازمة كبيرة وإن حاول أن يحول بعض خصائص نفسه إلى جانب المقادير المقهورة التي يخفيها في النفس إذا انتقل من طائفة إلى طائفة أخرى من طوائف الأمة؛ فالفلاح إذا ألبسته طربوشاً أو قبعة لا يخلع خصائصه ولا يستطيع خلعها ويبقى فلاحا بخصائصه ، ولكنه ربما حاول أن يخفي بعض تلك الخصائص في نفسه .

والمذهب الجديد في الأدب هو إلى حد كبير كالطربوش أو القبعة التي يلبسها الفلاح ؛ والمذهب الجديد كما أوضحنا قد تأثر

مباشرة بما أخذه من المذهب القديم وبما أخذه بطريق غير مباشر بعد أن تأثر الأدب الأوربي الذي هو وليد نزعة إحياء العلوم في أوربا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر بالأدب والفكر العربي .

ولا بد أن الأستاذ النمراوى قد عاشر طوائف مختلفة من طوائف الأمة وإن لم يكن قد درس حالة الأدباء الخلقية دراسة المشير الذي لا يُخاتَل لا دراسة القائل بما يسمع . ولا بد أن الأستاذ قد أيقن من اتفاق طوائف الأمة في الخصائص الخلقية. ولو أنه أتيح له أن يدرس أخلاق الأدباء لوجد أن الخصائص الخلقية متشابهة فيهم بالرغم من المذهب القديم والمذهب الجديد، وأن التفاوت الفردي بين آحاد كل طائفة ربما كان أهم من تفاوت أدباء كل مذهب . فالاستقامة والصدق والعفة والنزاهة والسماحة في الخلق والوفاء الخ ليست ملكا لمذهب في النثر أو الشعر . وكذلك اللؤم والكذب والغدر والانصراف إلى اللذات والحقد ليست ملكا لمذهب في الشعر أو النثر. ولو أن الأستاذ بحث هذه الخصال لوجد أن خصال الحمد والذم لابد أن توجد في المذهبين ، فان هذه خصال وميول متوارثة تزيدها حوادث الحياة وحالاتها قوة أو ضعفا . أما غير هذا الرأى فلا يأخذ به إلا من يسهل أن يخدعه التعصب لجماعته، فان المذهب القديم أو الجديد ليس دينا له أخلاق معينة لا يتعداها، وإلا فان الأديب الذي يكتب على طريقة الأدب الجديد متأثرا بالأدب الأوربي ويطرى الاستقامة ، يعد في نظر الأستاذ كافرا بالأدب الحديث ؛ وإن الأديب الذي يطرى أبياتا فيها مجون من صنع شاعر من شعراء المذهب القديم يعد كافرا بالمذهب القديم . وعلى هذه القاعدة يكون أكثر شعراء العرب وأدبائهم من عهد امرىء القيس (كما ذكر الأستاذ خلاف) إلى عهدنا هذا كافرين بالمذهب القديم ؛ وإذاً لا يكون هناك مذهب قديم في عالم الوجود، ويكون السيد توفيق البكرى متفرنجا عند ما اختار لابن الرومى أرجوزته النونية في وصف الزناء، ويكون الشيخ شريف مفتش اللغة العربية ورجل التربية متفرنجاً عندما شرح أرجوزة اللواط لفظاً ومعنى، أو يكون الأديب الواحد تارة من أنصار المذهب القديم إذا تمثل بأبيات من زهد أبي نواس أو أبي العتاهية، وتارة من أنصار المذهب الجديد إذا تمثل بمجونهما.

ويكون إذاً حافظ إبراهيم من شعراء المذهب الجديد إذا قص قصص المجون في مجالسه أو روى أشعار المجون، ويكون حافظ إبراهيم نفسه من شعراء المذهب القديم إذا تناول مسبحة وروى أشعار الزهد والتقوى ، ويكون كل أديب أو شاعر من شعراء أو أدباء المذهب القديم كما يكون حافظ في حالتيه . ويكون الأديب منهم من أنصار المذهب الجديد إذا تمثل بأبيات من لزوميات المعرى لا يرضى عنها الأستاذ النمراوى ، ومن أنصار المذهب القديم إذا تمثل بأبيات أخرى من اللزوميات يرضى عنها الأستاذ . وفي اللزوميات ما يُرضي وما لا يُرضي الأستاذ؛ ويستطيع الأستاذ أن يتخلص من هذه الورطة فيقرر أن الشاعر الذي يجهل اللغات الأوربية ولا يقرأ الأدب الأوربي المنقول إلى العربية هو من أدباء الفضيلة (والفضيلة كما قرر الأستاذ هي المذهب القديم) حتى ولو قال النثر والشعر في المجون والزيغ متأثراً بمجون وزيغ شعراء (الفضيلة) القدماء ممن كتبوا باللغة العربية ، وأن الأديب الذي يعرف اللغات الأوربية والذي درس آداب اللغات الأوربية والذي يعد نفسه من أدباء المذهب الجديد هو في الحقيقة من أدباء (الرذيلة) حتى ولو أطرى الفضيلة كما أطراها شكسبير وفكتور هيجو . وإذاً يكون من الواجب المحتوم أن الشاب الذي لاهو من أدباء المذهب القديم ولا الجديد ، لأنه ينقل عبارات أفرنجية نقلا حرفياً كالضحكة الصفراء (وغيرها من العبارات المضحكة التي يدعى أدباء المذهب القديم أنها من خصائص المذهب الجديد) أقول إنه من الواجب المحتوم أن يعد هذا الشاب من أنصار المذهب القديم ما دام يطرى الفضيلة حتى ولو أطراها كما أطراها فكتور هيجو إطراء صحيحاً ولكن بأسلوب عربي سقيم ، وأخشى أن هذا المنطق الغريب قد يسوقنا إلى أن نعد الأسلوب السقيم إذاً من خصائص المذهب القديم ما دام صاحبه يطرى الفضيلة، وأن نعده من خصائص المذهب الجديد إذا كان صاحبه يطرى الرذيلة . على أننا لو فرضنا أن الأستاذ قد أصاب في جعله المذهب القديم مرادفاً للفضيلة وأنه عقيدة دينية ، فكم من معتنق عقيدة يقول بلسانه ما لا يتفق وأخلاقه وأعماله! فكيف به وهو ليس عقيدة دينية حتى ولو كان كل أدبائه من عهد حسان بن ثابت إلى اليوم منزهين عن الفحش في قولهم وعملهم

فكيف به وليسوا كلهم منزهين عن الفحش فى قولهم وعملهم بل كان منهم من بلغ من الفحش فى القول والعمل غاية ليست بعدها غاية . ألا يرى الأستاذ أن جعله المذهب القديم مرادفاً للفضيلة مع هذه الحقائق يؤدى إلى أن ينافق من ينافق فيدعى أنه حامى حمى الدين والفضيلة كى ينال ما رادف هذه الألقاب حسب اصطلاح الأستاذ فيلقب بزعيم النثر وسلطان الشعر ؟ إن بعض أدباء المذهب القديم قد نشروا هذا الاصطلاح بكل ما أوتوا من بيان ، كما كان كل فريق من الدول فى الحرب العظمى يدعى أنه حزب الله المصطفى وأن الفريق الآخر حزب إبليس الخاسر عليه لعنة الله . فكان الانجليز يقولون إنهم يدافعون عن الفضيلة والحضارة والعدل والخير والحق ، وإن خصومهم خصوم هذه الصفات العليا . وكان الألمان ينشرون مثل هذه الدعوة لأنفسهم حذوك النعل بالنعل . وكان كل فريق يضحك فى سره من سذاجة من يصدق أقواله . وكذلك يفعل بعض الأدباء هنا وهم يخافون ما يعرفون من أن الشطط فى القول لم يكن مقصوراً على مذهب فى الفنون والآداب ، وأن مناصرة الفضائل ليست مقصورة على مذهب، وأن جعل الفضيلة مرادفة للمذهب القديم والرذيلة للمذهب الجديد شطط وظلم لا يتفق وروح العدل الذى تأمر به الشرائع السماوية ، وأنه حتى على فرض أنهم يفعلون ذلك مناصرة للشرائع السماوية لا كسباً للرزق والشهرة والمكانة ، فان مناصرة الشرائع السماوية بما ينقض عدل الشرائع السماوية من تعميم هو غاية الظلم يجعل مناصرتهم للشرائع السماوية مهزلة لا يرضاها الله، فان مناصرة الشرائع السماوية لا تكون إلا بفضائلها ، فكيف بهم وهم يعلمون أن شطط القول أو الفعل لم يكن قديماً ولا حديثاً مما يلتصق بطائفة دون طائفة ، وأنه لم يخلق الله مذهباً من مذاهب الفنون من عهد آدم إلى اليوم يصح أن يعد مرادفاً للفضيلة فى جميع مظاهره ؟

قال الأستاذ الغمراوى إن النزعة إلى التجديد بدأت منذ ثلاثين سنة . وقد أوضحنا أن التجديد بمعناه الأعم الذى شرحه الأستاذ بدأ منذ دخول نابليون مصر وذاع أيام محمد على باشا واسماعيل باشا، فليس له مبدأ واحد . أما التجديد بالمعنى الأخص وهو التجديد فى أبواب الشعر والنثر ومعانيهما فهو أيضاً مما لا يجد مبدأ واحداً كما يعرف من يدرس حياة الأمم ونمو النزعات والأفكار فيها، ولكن الذى يقرأ مقالات الأستاذ وأقوال بعض الكتاب يحسب أن النزعة إلى التجديد هذه نزعة متضامنة الأفراد متحدة العناصر متفقة الأهواء والمشارب والمبادىء بدأت بمؤامرة على الدين والأخلاق . والذى يدرس حياة الأمم ونمو الأفكار فيها يعرف أن هذا خيال فى خيال . والذى يدرس النزعة إلى التجديد يرى أنها ليست ذات مبادىء واحدة وأنها نزعات مختلفة ، فان من أدباء التجديد من يرى فى المذهب الرمزى كل علو فني ، ومنهم من لا يستلذه ولا يقنع عاطفته إلى الفن لابهامه وسقوط الصلة بين الرموز والحقائق التى تشير اليها الرموز ، ولتكاثر الصور فيه بعضها فوق بعض . وقد أوضحنا أن الرافعى — وهو فى رأى أصدقائه زعيم المذهب القديم — كان أقرب إلى المذهب الرمزى فى بعض كتبه مثل حديث القمر . وليس من البعيد أن يأتى يوم يعد فيه الرافعى من زعماء المجددين فى الأدب الرمزى أو زعيمه الأكبر . ولا أحسب أن الأستاذ الغمراوي كان منذ ثلاثين سنة متتبعاً تلك النزعات تتبع المعالج للبحث الاجتماعى ، فهو إذاً يقول بالسماع . وقد أوضحنا فى مقال سابق أن الأستاذ يصنع خيراً لو أنه اجتبى من المذهب الجديد ما يرتضيه وهو واجد الكثير المرتضى فان نقده يكون أوقع وأنفذ ، وإصلاحه أقدر ، وحكمه أعدل . أما جعله مذهباً مرادفاً للفضيلة ومذهباً آخر مرادفاً للرذيلة ، فليس ذلك من اعتدال أمثاله من العلماء

(قارىء)

عود على بدء

بين الغــــرب والشرق

للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

— ٣ —

« قلنا في المقال الأول في الرد على مزاعم مناظرنا الفاضل الأستاذ فيلكس فارس إن لكل أمة في العالم روحها التي تحتضن تراثها التقليدي ، وعن طريق تحليل تراث مصر التقليدي انتهينا إلى أنها فرعونية آخذة بأسباب العربية لتجارى فن الحياة في ذلك العصر الذي طغت فيه العربية على كل شيء وكانت مركزاً للجذب الاجتماعي في الشرق الأدنى .

وفي المقال الثاني بينا الفروق الأساسية بين ما سميناه ذهنية للغرب وطابعاً للشرق ، وقلنا إن نزعة الذهن الغربي يقينية ونزعة العقلية الشرقية غيبية، واستدللنا على هذه الحقيقة من حقائق التاريخ، واستشهدنا بكلام للأديب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم . ولهذا قلنا إنه من الصعوبة بمكان أن تأخذ مصر الثقافة الغربية وهي محتفظة بثقافتها التقليدية وأساسها الإيمان بالغيب . وقد قرأ قراء « الرسالة » منبر الأدب الحي في الشرق العربي رد مناظرنا الفاضل على ما قلناه في عددي الرسالة ٢٦٣، ٢٦٤، لهذا اضطررنا أن نعيد الكرة من جديد لنمحص ما أثاره الناظر الفاضل من اعتراضات . ولن نتقيد في ردنا على الناظر بما جاء في كلامه ، وإنما سنرجع لكتاب رسالة المنبر إلى الشرق العربي فهو إنجيل الناظر في الإيمان بثقافة الشرق »

يقول الأديب النابغة فيلكس فارس :

« الثقافة راسخة في الفطرة ، والفطرة في الفرد كما هي في الأمم ميزة خاصة في الذوق واختصاص في فهم الحياة والتمتع بها ، فإذا كان العقل رائداً لبلوغ الحاجة فليست الفطرة إلا القوة المتمتعة في الإنسان بتلك الحاجة بعد بلوغه إياها »

هذا ... ونحن نفرق بين الثقافة والفطرة، بين تراث الشعب الذي يخرج به من ماضيه انسلالا على مدى الدهور والأعوام ، وبين الفطرة من حيث هي روح الأمة التي تحتضن تراثها. فتراث مصر الفرعونية التي أسلمته لمصر الاسلامية فاختلطت نتيجةً لذلك الفرعونية والعربية فكان من ذلك ما سميناه لمصر من ثقافة تقليدية شيء والروح المصرية شيء آخر . إلا أن هذا لا يمنع من أن ترسخ الثقافة التقليدية وتصبح وكأنها من صميم فطرة الشعب. وانسلاخ الشعب عن ثقافته التقليدية ، وإن كان لها رجة في صميم الفطرة والروح إلا أنها لا تعني انسلاخ الشعب عن روحه وفطرته. وما ثقافة الشعب وتراثه إلا أثر وقوع الفطرة والروح تحت تأثير ظروف ومؤثرات تجد طريقها للمحيط الاجتماعي والبيئة الطبيعية للشعب . بيان ذلك أن الروح المصرية تحتفظ بذاتيتها منصبة في قوالب شتى ، فهي في قالب في العصر الفرعوني، وهي في قالب في العصر الاسلامي ، وجماع هذه القوالب المختلفة يكافئ الحالات المتباينة التي يتضمنها المحيط اجتماعياً وطبيعياً . وإنكار هذا معناه أن الروح المصرية تغيرت من العصر الفرعوني إلى صورة أخرى في العصر الاسلامي . فما الذي يمنع أن تتغير إلى صورة أخرى في العصر الحديث ؟ ولعمري هذا لا يتفق مع ما يعرف من قواعد الاجتماع وعلم تكون الشعوب ، لأن روح الشعب شيء مجرد ، يكتسب عن طريق وقوعه تحت تأثير الفواعل الاجتماعية والطبيعية خصائص متباينة شكلا وإن كانت متفقة روحاً

من هذا أرى أنه من الضروري التفرقة بين روح الأمة من جهة، وثقافتها وتراثها الشعبي من جهة أخرى، وإذاً أيكون من الممكن لمصر أن تتجرد عن ثقافتها التقليدية ، وتستبدل مثلا بدينها ديناً آخر وبلغتها لغة أخرى كما حدث ذلك في عهد الفتح العربي ومع ذلك تحتفظ مصر بروحها وفطرتها ، لأن ما ستأخذه الروح من القوالب سيكون عن طريق الوقوع تحت تأثير عوامل ومؤثرات وجدت طريقها للمحيط الاجتماعي والطبيعي ، ويكون بذلك صور متباينة تأخذها فطرة الشعب ، أو بمعنى آخر قوالب شتى ، غير أن قانون العادة يدخل لاستحداث المماثلة في عقل ومشاعر الشعب فيكون من ذلك تماثل الثقافة التقليدية الجديدة في سريرة كل فرد من أبناء الشعب

على هذا الوجه فقط يمكن تعليل تفسير القالب العربي للروح المصرية والذي تكون نتيجة لوقوع الروح المصرية تحت تأثير الثقافة العربية . وعلى نفس الوجه يمكن تفسير وجه قيام الثقافة الغربية في مصر مع احتفاظ مصر بروحها وفطرتها .

وأظن أن هذا الايضاح كاف يقطع السبيل على كل اعتراض يمكن توجيهه من أن الثقافة الغربية لا تتفق والروح المصرية .

وكل الخلاف على ما يتبين أخيراً راجع إلى عدم التفريق بين الثقافة التقليدية والروح ، فعند ما يقوم أنصار الثقافة الغربية بدعوة إلى مدنية الغرب يثور عليهم أنصار الثقافة العربية قائلين إن معنى ذلك ضياع الروح المصرية والقومية ، مع أن الروح شيء ثابت والثقافة شيء عرضى يتقوم بالروح وفطرة الشعب .

والآن لنتمش مع كلام المناظر فى رده ولنعقب عليه بما يكفى لاظهار زيفه وبيان وجه بطلانه .

١ — قلنا فى صدر كلامنا فى المقال الأول فى الرد على مزاعم مناظرنا الفاضل كلة عن هابل آدم بك الفيلسوف الاجتماعى المعروف . والكلام واضح بين فى أننا بحكم كوننا فى الحياة يجب أن نفكر فيها وحدها وأن نعمل لأجلها واقامتها على أساس انسانى بدون أن نجعل للغيب سبيلا للتدخل فيها . وهذه الكلمة تتجلى فى صدر الحديث النبوى : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا » . ومع ذلك رأى المناظر فيها غموضاً وحاول أن يتعسف بتأويل الكلام إلى أن معناه إنكار الآخرة . وقال وأين عجز الحديث: « واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً »

يا صديقى ليس هكذا يكون الكلام !

قد يكون بدؤنا فى طريق الله ونهايتنا فى طريق الله ، لكن « الوسط مدرجة بيوتنا ومصانعنا وحوانيتنا، وبكلمة أخرى طريق بعضنا إلى البعض » يجب أن يكون مبدؤها ومردها الأول والآخير عندنا ، حيث يقوم العقل الانسانى بتنظيم الحياة البشرية

هذا هو حقيقة كلام هابل آدم فى ضوء تحليل مدلول عبارته التى استهل بها كتابه الخالد « مصطفى كمال للترك كتابى » الذى ترجم لأكثر اللغات الحية ونقل ملخصاً إلى العربية بقلم صديقنا الأستاذ اسماعيل مظهر عن ترجمته الانجليزية .

٢ — قلنا إن موضوع الخلاف بين ثقافة الغرب وثقافة الشرق يرجع إلى كون الثقافة الشرقية وقفت عند حدود الدرجة الثانية فى سلم الارتقاء العقلى بعكس الثقافة الغربية فانها اجتازت هذه الدرجة إلى التى بعدها . ولا أدل على ذلك من بعض المراجعة لثقافة كل من الشرق والغرب فى ضوء قانون الدرجات الثلاث الذى كشف عنه أوغست كونت

يقول أوغست كونت :

(إن كل فكراتنا الأولية ومدركاتنا وكل فروع معرفتنا لا بد من أن تمر على التوالى بثلاث حالات مختلفة : الأولى الحالة الخرافية وهى حالة تصورية تخيلية ، والثانية الحالة الغيبية وهى حال تجرد، والثالثة الحالة اليقينية وهى حالة تيقن)

ومع ذلك يجادلنا المناظر فليكس فارس مرجحاً الحالة الغيبية وهذا قلب لقانون الدرجات الثلاث !

٣ — يرى المناظر متابعة لاعتقاده برجحان الحالة الغيبية أن ميزة الشرق هى فى الحالة الغيبية وفى إيمانه بالغيبيات . وهذا القول لو صدر من شخص ليس فى مكانة مناظرنا الأستاذ فليكس فارس — وهو على علم واسع وفضل راجح — لما اهتممنا له . ولكن صدوره من مناظرنا يجعله حدث الأحداث فى عصرنا الراهن

وإذا كان وقوف الشرق عند الدرجة الثانية فى سلم الارتقاء العقلى سبباً للاعتقاد بتفوق هذه الدرجة على ما بعدها ، فاذا يكون موقف مناظرنا إزاء أحد الزنوج أو متوحش افريقيا إن وقف يرجح الحالة الهمجية والحالة الخرافية اعتقادا منه بتفوقها على ما فوقها ، وقال لمناظرنا ما يقوله هو لنا ؟ إذن ماذا يكون منه الجواب ؟

٤ — إن قول المناظر برجحان الحالة الغيبية على الحالة اليقينية وإن كانت ظاهرة البطلان إلا أن هذا البطلان لا يمنعنا عن مناقشتها حتى لا يظن مناظرنا أن كلامه حق يعلو على التجريح والنقد

يقول العالم اليابانى « موريكاتو إيناجاكى » إن فى كل عنصر بشرى، استعداداً لأن يظن فى نفسه الكمال . ويثبت هذا العالم هذه الحقيقة من حقائق علم النفس والانسان . وفى ضوء هذا القول نفهم اعتقاد مناظرنا برجحان ثقافة الشرق الغيبية ، ولكن ما هى الأسباب العلمية والفلسفية التى يبرر بها المناظر إيمانه بتفوق ثقافة الشرق الغيبية ؟

بحثت كثيراً فى كلام المناظر وفتشت بين السطور عن الأسباب العلمية لايمانه بتفوق ثقافة الشرق الغيبية ، ولكن بلا جدوى . فرجعت لكتابه « رسالة المنبر إلى الشرق العربى » فلم أخرج بغير « قانون الرجعى » سبباً فى تفوق ثقافة الشرق الغيبية !

يرى الناظر أن العلم الحديث أكد وجود قوة مستترة فى الانسان أسماها العقل الباطن، وهى مستودع الفطرة والانطباعات السابقة، وهى نفسها تسير الآن متلبسة بمظهر الاختيار. وما العقل الباطن كما دلت التجارب إلا الحوافز التى وجدت فى الأجداد ونمت على اتجاه مقدور أيضاً زمن الطفولة. وهذه الحوافز تكمن فيها فطرة الأمم لأنها أداة شعورها بالحياة. وما دام الأمر كذلك فهو يرى أن سعادة المجتمع العربى فى ملاءمته لما فطر عليه هى الغيبيات لأنها استلهام للروح العليا

كلام كما تراه يخترمه التناقض ومجانبة الحقائق. ومع ذلك فلننظر فيه

من المعلوم أن الانسان بتكوينه الطبيعى يستجيب للمؤثرات الداخلية والخارجية استجابة ذاتية Spontaneous response وهذه الاستجابة مرتبطة فيه بأنصاف الكرات المخية التى هى أعضاء رد الفعل فى الانسان. وترتبط بهذه الأنصاف الكروية المخية الوراثة والعقل الباطن. بيان ذلك أننا لو أتينا بكلب ووضعنا أمامه قطعة من الحلوى فان لعاب الكلب يسيل. هذه الظاهرة تحدث بتأثر ذاتى فى الكلب ومن غير أن يكون للتجربة يد فى تغييره أو تكوينه؛ ومن هنا تعتبر عملاً عكسياً أصيلاً. وهذه الأفعال العكسية الأصيلة هي ما كنا نسميها من قبل بالغرائز. فالغرائز مجموعة من الأفعال العكسية مندغم بعضها فى بعض كما هو الحال فى غريزة بناء الطيور لأعشاشها. غير أن هذا الفعل العكسى الأصيل وإن كان يحدث بقاسر ذاتى فى الأحياء العضوية لا يتغير فان ذلك وقف على الأحياء الدنيا. أما فى الأحياء العليا فى سلم المملكة الحيوانية فان سلوك هذه الحيوانات وإن كان مرتكزاً على استجاباتها بقواسر ذاتية للمؤثرات فانها تستفيد من التجارب، إذ تترك التجارب أثراً بيناً فى سلوكها. والانسان كأحد أصناف المملكة الحيوانية العليا يخضع لنفس هذه السنن. والأفعال العكسية المستفادة من التجارب مؤصلة لأنها مكتسبة يكتسبها الحى من ظروف حياته كنتيجة لما يلابسه من مؤثرات؛ وهذه الأفعال تختفى وتضمحل إذا ما تغايرت المؤثرات. ولما كانت الأفعال العكسية فى الأصل تحدث بقاسر ذاتى مصحوبة بحركة انفعالية جاز لنا أن نعتبر الأفعال العكسية المؤصلة — وهى المستفادة من التجارب — كنمو ارتفاقى فى الأفعال العكسية الأصيلة.

ولما كانت هذه الأفعال تقوى وتضمحل وتضعف وتتغاير باضمحلال المؤثرات وتغايرها، فان مراكزها فى الكرات النصفية المخية تكون قابلة لدرجة قليلة أو كبيرة لأمكان تكون الانعكاسات المؤصلة حيث تعتمد فى قوتها على التكرار الاصطحابى كما أن ضعف أواصر التلازم أو تقطعها يؤدى إلى ضعف الانعكاس المؤصل أو اضمحلاله. غير أنه يعود بصورة أيسر لأنه يكون قد ترك أثراً فى الحى من حالته الأولى الارتفاقية. وهذه الحقائق بإثباتها ديناميكية خاصة للنفس وساحة لا شعورية تبين إلى أى حد قد جانب الناظر فى كلامه حقائق العلم. لأن الحوافز التى بالأحياء نتيجة للارتباط الارتفاقي بين الأفعال العكسية الأصيلة والمؤصلة وليست نتيجة للوراثة. وهذا لا يمنع أن الانسان يولد وفى تضاعيف تلافيف مخه، وفى ثنايا أنصاف كراته المخية، وفى لحائها، وفى مراكز أعصابه ميول وكفايات امكان لبعض الأفعال المؤصلة. والانسان بخروجه لعالم الحياة يكون جهازه العصبي فى طور نمو وتكوين إذ تسيطر عليه الأفعال العكسية سيطرة مطلقة، وهذه الأفعال مجردة... ويكون للمؤثرات التى تلابس الانسان أثراً فى أن تحدث استجابات تكون مقدمة لفعل عكسى مؤصل. فاذن العلاقة بين ما هو كائن فى النفس عن طريق الوراثة لا تتعدى الامكان المحض. وهو تحت تأثير المؤثرات يظهر مصحوباً به. فالاعتقاد بوجود أساس وراثى يرثه الانسان ويتركب عليه مكتسباته لا يتعدى هذه الحقيقة. وهو لا يثبت دعوى أن اللاواعية أو العقل الباطن يحتوى على الحوافز المتوارثة عن الأجداد

فاذا لاحظنا هذا كله وجدنا أن للمحيط الاجتماعى وما يعرض له من العوامل والمؤثرات الأثر الأكبر فى تكوين الانسان على غرار معين... وإذاً يكون اتجاه الناظر إلى الوراثة والحوافز المتوارثة عن الأجداد — وهي حالات إمكان فى النفس — خطأ من الناحية العلمية، ويكون بالتبعية اعتقاده فى سلامة وسعادة المجتمع لما فطر عليه من الحوافز المتوارثة خطأ. والصحيح أن يقال إن الانسان من حيث يولد وهو طفل وأفعاله العكسية المؤصلة هى التى تستحكم فى جهازه العصبي، وبتعبير أدق غرائزه، يكون مطواعاً للمؤثرات التى يحتويها محيطه الطبيعى والاجتماعى، ويخرج مصبوباً فى قالب معين يكافىء الحالات التى أحاطته. ونظراً لأن المحيط الطبيعى والاجتماعى عادة واحد فى الحالات الاعتيادية

فان المؤثرات تكون واحدة، ومن هنا يخرج الناس فى قبيل معين وجيل معين مصبوبين فى قالب معين . وقانون العادة يتدخل لاحداث المماثلة فى القالب المصبوب فيه القبيل حتى ينتهى لذلك . أما فى الحالات التى تكون فيها المؤثرات فى المحيط الاجتماعى متباينة ، فان القبيل يخرج فى قوالب شتى جماعها يكافىء الحالات التى يتضمنها المحيط الاجتماعى؛ وهذا ما هو حادث اليوم فى مصر. فان أهل المدن من الطبقة المتوسطة وفوق المتوسطة يعيشون على غرار غربى، لأن العوامل التى فى محيطهم الاجتماعى متأثرة بالروح الأوربية ، بعكس أهل الريف الذين يعيشون على غرار شرقى . وهذا الانقسام فى المجتمع المصرى ملحوظ للنظر .

وإذن تكون نقطة الخطأ فى كلام المناظر ، بل الخطأ الأساسى هو إغفاله للمؤثرات الطارئة التى تدخل فى المحيط الاجتماعى، وتؤثر فى المجموع الانسانى ، وتصبهم فى قوالب جديدة تكافىء المحيط الاجتماعى فى الصورة الجديدة التى أخذها بالمؤثرات التى طرأت عليه . وهذه الحقيقة تتبين من نظرة سريعة فى كتاب « رسالة المنبر إلى الشرق العربى » .

ولقد كشفنا عن هذه الحقيقة فى النقد الذى كتبناه فى مجلة « العصبة الأندلسية » فى عددى فبراير ومارس سنة ١٩٣٨ . لكتابه ، وهى تبين أن المناظر يمضى فى كلامه مغفلاً شأن العوامل والمؤثرات التى تجد طريقها إلى المحيط الاجتماعى للشرق العربى . ومن هنا نرى أن الشرق العربى شاء أو لم يشأ مفكروه سيمضى فى سلسلة من التغايرات حتى ينتهى إلى أن يحوز المكافأة للمؤثرات التى دخلت محيطه .

« اسكندرية » اسماعيل احمد أدهم

كتاب المبشرين
الطاعن فى عربية القرآن
أمسلم مصرى أم مبشر بروتستنتى؟
لأستاذ جليل

— ١ —

اقترحت وزارة المعارف المصرية ذلك المقترح فى تيسير (القواعد) ، وأعلن أولئك الفضلاء (الميسرون) منهجهم ، فقال قائلون من العلماء لما رأوه : إن هذا التيسير تعسير ، وإنما تسهيل القوم تصعيب . وتجادل الفريقان فى الجرائد والمجلات والكراريس . و (كتاب العربية) يقول : «فأما الزبدُ فيذهب جُفاء وأما ما ينفع الناسَ فيمكث فى الأرض »

والعربية هى كسائر اللغات وليست بأصعبهن ، وإنَّ نحوها — وإن لطفت دقائقه وجلت حقائقه — إلا كنحوهن

وليست المشكلة فى صعوبة اللغة أو سهولتها ولا فى (قاعدتها) وإنما هى فى (المعلم والكتاب) فهما اللذان يسهلان ويصعبان ، وهما اللذان يهديان ويضلان ، وهما اللذان يحبّبان إلى الفتى لغته أو يكرّهان . فالمعضلة كل المعضلة هى فى المعلم وعلمه وتعليمه وكتاب كل صف من الصفوف وتبويبه وترتيبه وتبيينه . ولو عُنيتَ الوزارة هذين لفرطست

ومن ظن أو أيقن أن تقريب العربية أو تسهيلها هو فى تهديم قواعد فيها — فهو مهوّس يهذي ، أو موسوس يلغو . وليست اللغة العربية ملك كاتب أو كويتب ، أو أديب أو أديّب ، أو عالم أو عويلم، حتى يتصرف فيها تصرُّف المتملكين ، كلا ، ثم كلا . إنها تراث قرون وملك أمم ، فأين يذهب بكم يا لاعبون ؟

واللغات فى المشارق والمغارب إنما يقدم فيها ويؤخر ، ويلغى ويلغى ، وينقص أو يزيد، ويحيا أو يبيد — فانه لا يفعل ذلك إلا الاحتياج الطبيعى أو الانتخاب الطبيعى (La sélection naturelle) وإلا الدهر، لا اللاعب العابث ولا الجاهل الغر. ولقد كان التبديل

الطبيعي في هذا اللسان في كل عصر . ولو استمرت تلك المدنية، ولولا التتر والصليبيون المخربون في الشرق، والفرنج الجاهلون المدمرون في الأندلس في الغرب، لرأت الدنيا من ارتقاء العربية كل عجيبة

* * *

كان مقترح الوزارة أو فتنة الوزارة ، وجاء شر يقفوه شر ، وأمرأ مرئون ، وانبرى الصبيان يقولون ، ونطق الرُّوَيبضة[1] و «استنَّت الفصال حتى القرعى[2]» ثم جاءت الطامة الكبرى: أعني الضـلال الضالّ في مجلة في القاهرة ؛ فقد نجم فيها ناجم وتهدّم على هذا اللسان العربي وكتابه الكريم بالقول السخيف مُشيّعاً بالرأي الركيك والصنع اللئيم . ولو اقتصر هذا الخارجي على بقبقته في تقويض (القواعد) أونسفها ما بالبناء بالةً ولقلنا : إنما هو مَحكة جاء بأضاحيك، فليضحك الضاحكون؛ لكنه شاء أن ينقلب لُعنةً يلعنه اللاعنون ؛ فقد تمسك هذا الكاتب في هاتيك المجلة بالذيل أو (التذييل) لكتاب (مقالة في الاسلام) لجرجس سال الانكليزي (وهو الكتاب الذي نشرته جماعة التبشير بل التضليل من البروتستانت في مصر) وانجرأ واستجر مسلم ابن مسلمين — يا للأسف — الطاعنين في الدين، والقُنْسِمين وقحين على تنقص القرآن وتغليطه في العربية ... !

وهذا هراء صريع (التضليل)! وهذا بذاء صاحب (التذييل)! فاسمع — ياأخا العرب — غرائب العصر، ومضحكات في مجلات في مصر؛ بل شاهد أشراط الساعة، بل انظر أهوال يوم القيامة !

* * *

قال الكاتب المسلم في المجلة :

« وإلا فكيف نعرب كلمة (الصابرين) في قوله تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء) كيف نعرب كلمة الصابرين المنصوبة هنا مع كونها معطوفة على جميع المرفوعات التي سبقتها إلا إذا عاوننا المفسرون ؟ »

وقال كتاب المبشرين البروتستانت :

« وإذ قد تقرر هذا فلنشرع في تعقب خطئه. قال في سورة البقرة : (ليس البر الآية) وكان الوجه أن يقول والصابرون لأنه عطف على قوله والموفون، لكن المفسرين قالوا إنه نصب الصابرين على المدح »

قال الكاتب المسلم في المجلة :

« وقوله تعالى : (رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) فنفهم المعنى وإن فاتت بعضنا سر جزم (أكن) مع مجيئها معطوفة على فعل (أصدق) المنصوب بفاء السببية ! »

وقال كتاب المبشرين البروتستانت :

« وقال في سورة المنافقين (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) بجزم أكن والوجه وأكون بالنصب »

قال الكاتب المسلم في المجلة :

« وقوله تعالى : (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من من تراب ثم قال له كن فيكون) فنفهم معنى الآية وإن كنا لا نفهم لماذا قال (كن فيكون) بدلا من كن فكان ما دام سياق الرواية كله في صيغة الماضي »

وقال كتاب المبشرين البروتستانت :

« وقال في سورة آل عمران : (إن مثل عيسى الآية) والوجه فكان ، وفي هذا الموضع يقتضيه بصيغة الماضي »

قال الكاتب المسلم في المجلة :

« وقوله تعالى : (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا » فنفهم المراد وإن عجبنا لتأنيث العدد مع أن العدد مذكر، وإن قيل لنا إن

---

(١) الرويبضة : الرجل التافه ينطق في أمر العامة ، ونطقه من أشراط الساعة كما جاء في حديث

(٢) من أمثالهم قال الميداني في (مجمع الامثال) : يضرب للذي يتكلم مع من لا ينبغي أن يتكلم بين يديه لجلالة قدره. والقرعى جمع قريع مثل مرضى ومريض، وهو الذي به قرع، وهو بثر أبيض يخرج بالفصال ودواؤه الملح

السبط يذكر ويؤنث فسنظل نعجب من جمه المعدود ونتساءل لماذا لم يقل اثنتي عشرة سبطا »

وقال كتاب المبشرين البروتسانت : « وقال فى سورة الأعراف (وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا) فأنث العدد وجمع المعدود والوجه التذكير فى الأول والإفراد فى الثانى كما هو ظاهر »

قال الكاتب المسلم فى المجلة : « وقوله تعالى : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئون[1] من آمن بالله ... الخ) فنفهم معنى الآية ويدهشنا فى الوقت نفسه رفع (الصابئون) رغم كونها معطوفة على المنصوبات التى قبلها وكلها واقعة فى اسم إن »

وقال كتاب المبشرين البروتستانت : « وقال فى سورة المائدة : إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والوجه ان يقول والصابئين »

قال الكاتب المسلم فى المجلة :

« وقوله تعالى : (لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله وباليوم[2] الآخر) فنفهم أيضاً معنى الآية ونحن لا ندرى من سر نصب (المقيمين الصلاة) مع كونها معطوفة على المرفوعات التى سبقتها وأعقبتها إلا ما يقوله المفسرون من أنها وحدها منصوبة على التخصيص »

وقال كتاب المبشرين البروتستانت : « وقال فى سورة النساء (لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر) وكان الوجه أن يقول والمقيمون الصلاة كما قال بعده والمؤتون الزكاة . هذا ما تقتضيه القاعدة إلا أن المفسرين زعموا أنه نصب المقيمين الصلاة على المدح »

فسطور (المضلل) — كما يرى القراء — هو مكتوب (الذيل) وقد نقش (المسلم) أقوال (المبشر) وأربى عليها ذاك المرأة باستهزائه بآيات (الكتاب) . وهل قوله « وإن كنا لا نفهم لماذا » « فسنظل نعجب » « ويدهشنا فى الوقت نفسه » — إلا تهكم ؟!

وقد تترّس الكاتب فى المجلة بقوله (وقوله تعالى) وما حكى (وقوله تعالى) ومسىء إلى إسلاميته وعربيته ومصريته وشرقيته بتصديق الحاقدين الجاهلين ومظاهرة المبشرين رسل الغربيين المغيرين — إنما هوأعزل، وإنما هو أكشف، وإن استجن بكل ترس أو مجن

وسأبين جهل الجاهل وضلال الضال تبييناً .

الاسكندرية (***)

منتخبات من بلاغة الغرب

الجزء الثانى

للأستاذ محمد كامل حجاج

... صحراء خرساء ، وسرادق منفرد ، فأى راع شجاع نصبه فى مفاوز الرمال والسباع ؟ — لم يسكن الليل بعد ، وما فتىء الهواء ملتهباً من آثار حرارة القيظ ، وقد هبت ريح خفيفة فى الأفق ، وجعدت ما انتشر من لجج العجاج كما تبعث بوجه بحيرة رائقة راكدة، وطفقت تداعب نسيج الخيمة الأبيض فخفق من ملاعبتها وتأرجح وكانت مشكاة من بيض النعام بما كنة ساهرة فوق مسافرين ككوكب درى ، وقد رمت ظلين طويلين منهما على نسيج الصيوان. أحدهما كبير عظيم والآخر تحت قدميه ذليل حقير ، وإن هما إلا دليلة ورفيقها الفتى القوى مغلول اليدين والركبتين بعد ما كان البأس والبطش طول بنانه ...

ألفريد دوفيني

(١) كذا فى رواية الكاتب فى المجلة

(٢) كذا فى رواية الكاتب فى المجلة

فلسفة الأسماء

للأستاذ السيد شحاتة

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

القديم والحديث من الأسماء

الأسماء عنصر تاريخي مهم إذ نعتمد عليها كثيراً فى الاستدلال على مختلف التقلبات السياسية والاجتماعية ، وترشدنا إلى مقدار النفوذ والسلطة لطائفة أو فرد فى أيام معينة، كما أن منها ما يتناساه الناس حيناً من الدهر خوفاً من بطش الجبابرة . وقد قالوا إن الناس كانوا يتحاشون تسمية أبنائهم بأسماء علوية خوفاً من بطش الأمويين

هذا إلى أن الأسماء تبين أوضح بيان ولع المغلوب بالتشبه بالغالب ومحاكاته ، فمصر فى أيامها الحديثة غلبت عليها أسماء تركية أيام أن كانت تابعة للعثمانيين ، وسار بعض الناس فى تيار الأسماء الأجنبية بعد الاحتلال . كما أننا نجد الأسماء الفارسية واليونانية تشيع أيام العباسيين مما يدل على نشاط هذه العناصر وقوتها فى تدعيم أركان الدولة

وقد ينتاب الناس نوع من الاندفاع فيأخذون باسم مخصوص فتكثر التسمية به ويزيد الاقبال عليه . وقد لاحظت ذلك فى مواطن معينة من القطر المصرى فوجدت اسما مخصوصاً يشيع فى الفيوم وآخر يفشو فى طنطا وثالثاً يذيع فى المنصورة وهكذا .. وليس لذلك من سبب إلا وجود كبير أو ولى يشتهر فى كل إقليم

وإننا لندرك عند البحث أن هناك أسماء بادت وانقرضت فلا يسمى الناس بها الآن إلا نادراً (أم الخير. ست أبوها. زنوبة. زهرة . حنونة . مصطفية . مريم — عمر . سالم . جرجس . حنا عثمان) وكثير من الناس اعتادوا فى العصر الحديث أن يسموا أبناءهم بأسماء مستحدثة ينظر فيها إلى التجديد والابتكار والرشاقة اللفظية (نبيل . سمير . كيليا . سوسن . آمال . سهير)

كما أن هناك أسماء أخرى يميل أصحابها إلى الشذوذ والغرابة لاعتقادهم أن التسمية تحفظ صاحبها من العين والحسد، أو أنها تطيل العمر فتجد من يسمى (دحيكة . حلوتهم . حلوس . الفص . قطش : بمزق . بندق . مليم . أبوقرشين) وهناك أسماء تدل دلالة صريحة على الوطن، فعندنا فى الصعيد مثلاً أسماء مخصوصة قل أن تجدها فى الوجه البحرى (أبوعميرة، وأبو ستيت) ومن الأسماء ما يدل على الجنس كالأسماء الأرمنية فكلها تقريباً تنتهي ب (يان) (ملكونيان ماتوسيان بابازيان ساروخان يعقوبيان)

الألقاب

لم تعرف اللغة العربية تفخيما فى الأسماء قبل عهد العباسيين، وإنما نشأ عن اختلاط الفرس بالعرب إبان الدولة العباسية أن تأثر العرب بالمغالاة فى التعظيم والتفخيم ، فكانت أسماء الملوك لا ينطق بها أصلا وإنما يطلقون ألقاباً للتعظيم اشتهرت حتى أصبحت أعلاماً (الرشيد — الهادى — الأمين — المأمون)

وفى أزمنة الغلو الدينى والتشيع المذهبي يقترن لفظ الجلالة بأسماء الخلفاء والأمراء (الحاكم بأمر الله والعزيز بالله والواثق بالله) وقد يتجرد الاسم عن لفظ الجلالة (المعتمد — المعتصم — المعتضد) مما دعا ابن شرف القيروانى إلى أن يقول :

مما يزهدنى فى أرض أندلس ... أسماء معتمد فيها ومعتضد
ألقاب مملكة فى غير موضعها ... كالهر يحكي انتفاخاً صورة الأسد

وفى تركيا درج الأتراك منذ الزمن القديم على طريق ذكر الاسم مجرداً عن اللقب، إلا أنه فى العهد الأخير قرروا أن يتخذوا ألقاباً تدل على أسماء تركية يظهر فيها معنى تاريخى أو قومى . فقد تسمى رئيس الجمهورية (أتاترك) ومعناها (أبو الترك)، كما لقب رئيس وزرائهم عصمت باشا بلقب (أون أونو) وهو اسم لبلدة ريفية كانت فيها الموقعة التى انتصر فيها الترك على اليونان فى حرب الأناضول

وما تزال الأسر العريقة تشفع اسمها بألقاب مأخوذة من أسماء المقاطعات التى ينتمون إليها (دوق برابانت) — (برنس أوف ويلس) — (دوق يورك). وإن إطلاق اسم أمير الصعيد على صاحب السمو الملكى ولى العهد المحبوب لمن هذا القبيل .

ولدينا فى مصر بعض من الطرق الطريفة يلجأ إليها الناس فى التسمية والتلقيب، فمن ذلك بعض الأسماء التى تطلقها بعض الجرائد والمجلات على كثير من الناس والهيئات فإذا بتلك الأسماء أشهر

من الاسم الحقيقي . وفي كثير من الحوادث والمناسبات يشتهر إنسان باسم خاص فيصبح لقباً لأسرته من بعده لا يحيد الناس عنه

كما أن ببلادنا نوعاً غريباً من التلقيب وهو دلالة الكنى على أسماء معينة : مصطفى (أبو درش) يوسف (أبو حجاج) حسن (أبو علي) إسماعيل (أبو السباع) علي (أبو علوة) ابراهيم (أبو خليل) محمد وأحمد ومحمود (أبو حميد) كل اسم مصدر بعبد (أبو عبدة) سليمان (أبو داود)

وقد جرت مصر على عادة الألقاب فنها ، كلتا (أفندي) و (شيخ) وهما تمنحان بلا حساب ولا رقيب، ولقب حاج ويقابله عند المسيحيين المقدس، ولا يلقب بهما إلا من تمتع بالوصول إلى الأماكن المقدسة . وأما بك وباشا فهما من حق صاحب الجلالة مولانا الملك ينعم بهما على من يشاء . ومن الألقاب التي تملكها كل سيدة لقب (هانم) إلا أن العرف والعادة خصت الفتاة قبل الزواج بالآنسة وأطلقت عليها بعد الزواج لقب (السيدة) وقد سار الغربيون على عادة ذكر الزوج بعد اسم زوجته بدل أبيها . ولقد حاكام أخيراً كثير من المصريين وشاعت هذه الطريقة الآن . ومن أشهر من سمي بها (صفية زغلول . هدى شعراوي) وكثيرات غيرها

وقد درج الناس على أن ينعموا بأحد اللقبين الشعبيين (أفندي وشيخ) على من يشاءون ، يسمون من كان مطربشاً بالأول ومن كان معمما بالثاني ، وفي ذلك من الحيد عن وجه الصواب ما فيه . أما الشيخ فهي كلمة عربية ومعناها (من تجاوز سن الشباب) أو (من توفرت له حنكة الشيوخ وفضلهم ولو كان شاباً) أما الأفندي فهي كلمة تركية كانت تطلق على ولي العهد في تركيا زمن الخلافة ، ثم نقلت إلى مصر وشاعت فيها . وانجلترا تسير على نظام الألقاب (مستر وسير ولورد) أما فرنسا فقد ألغيت فيها الألقاب ولم يبق للعظيم والحقير إلا كلمة (مسيو)، وكذلك فعلت تركيا في عهدها الأخير . وفي سوريا قررت الكتلة الوطنية هناك إلغاء جميع الألقاب من باشا وبك وأفندي وصاحب الدولة والفخامة والعزة والاستعاضة عن كل ذلك بلقب (السيد)؛ وقد قابلت الطبقات السورية كلها هذه الخطة بالمدح والاستحسان . أما في مصر فقد صدر قانون منذ خمس سنوات يحرم ألا يلقب بلقب إلا من أحرزه، فقلل بذلك الألقاب الزائفة

إلا أن الأمر مع الأسف اقتصر على المكاتبات الرسمية والصحف. أما في غير ذلك فلا زال الناس يكيلون بغير حساب . وحسناً تفعل الحكومة المصرية لو أنها ألغت جميع الالقاب فيصبح الناس متساوين ولا فضل لأحد على أحد إلا بعمله ونبوغه وقدرته

غرائب التسمية

للأسماء غرائب مدهشات نذكر بعضاً منها :

جرت العادة أن يعرف الانسان باسمه واسم أبيه وأسرته، إلا أننا في كثير من الأحيان نجد الاسم يطغى على اسم الأب والأسرة فكثير من الناس قد يعرفون الملك أو العظيم باسمه فقط على أنهم يجهلون اسم أبيه

ومن عجائب الأسماء ماشاع اليوم من إطلاق اسمين على مسمى واحد، يظهر ذلك في الذكور والإناث (محمد طلعت — محمود شكري — زينب كيلة — فاطمة ثريا — ثروت هانم) .

وفي مصر من أعجب الأسماء أننا نسمع عن اسمين أحدهما أخ للآخر ، ولكننا لا نلمح أي اتفاق في اللقب حتى يكادان أن يكونا متباعدين (إسماعيل صدقي أخوه محمد نجيب شكري . عبد الخالق ثروت أخوه مصطفى رياض . أمين أنيس باشا أخوه محمد بك رياض) وتلك طريقة غريبة تضيع معها ألقاب الأسرات بمرور الزمن . ومن أغرب ما سمعت أن المدارس المصرية في عهد المغفور لهما محمد علي وإسماعيل كانت تطلق أسماء جديدة على تلاميذها يعرفون بها في المدرسة ويشتهرون بها في الحياة العامة

وفي الصين نجد معظم السكان لا تتعدى أسماؤهم أربعة (شانج — وانج)

وكل مسمى في الغالب له حظ من اسمه فالذي اسمه (ماهر ، ذكي ، سعيد) ينال في الغالب شيئاً من دلالة اسمه . و (فؤاد ، فاروق ، فائزة ، فوزية ، فوقية ، فايقة ، فتحية) أسماء بدأت بالفاء : فكل من يسمى بواحد منها يتفاءل أولا لأنها أسماء ملوك وأمراء ، وثانياً لأن فيها معنى الفوز والفتح والفضل

والذين ينجمون ويتعرفون حظ الانسان ويكشفون له عن مستقبله كل عمادهم على الأسماء : فهم يرون في حروف كل اسم ما يدل على حظ صاحبه وما قدر له في عالم الغيب ، ولهم في ذلك طرق كثيرة : منها أنهم يقسمون الحروف طوائف وكل طائفة منها تدل على معان خاصة يتصف بها صاحب الاسم الذي تغلب

فيه هذه الحروف . ومنها أيضاً أنهم يجمعون الأعداد الدالة على الحروف وهو مايعرف عندهم (حساب الجمل) فيجمعون اسم الشخص واسم أمه ثم يسقطونها سبعة سبعة ، والباقي يدل على حظ صاحبه

الأسماء واللغة

اصطلح علماء العربية على تقسيم الأسماء الأعلام إلى ثلاثة : كنية وهي المصدرة بأب أو أم (أبو طالب ، أبو الفضل - أم كلثوم أم الخير) ولقب وهو ما أفهم مدحاً أو ذماً (الرشيد ، الفاضل، الجاحظ، السفاح) والثالث اسم وهو ما سمي به الانسان (أحمد، على ، فرج ، سليم)

ولو تتبعنا معظم الأسماء لوجدناها تقريباً (من المشتقات) فنها أسماء فاعلين (حامد ، قاسم ، راغب ، ماهر ، عادل) ومنها أسماء مفعولين (محمود، منصور، معروف، مبروك ، مسعود) ومنها صفات مشبهة : (سعيد ، بخيت ، نمير ، كريم ، ذكي ، نبيل) إلا أنه على الرغم من كونها مشتقة فاننا نعتبرها من القسم الآخر وهي أنها جامدة

كما أن هناك كثيراً من الأسماء يختلط فيها المذكر بالمؤنث (عطية، إحسان، ثروت، آمال ، رجاء، سوفى) واللغة العربية تنزل المذكر المسمى باسم من هذا النوع منزلة المؤنث فتمنعه من الصرف

اقتراح

وأخيراً لقد تقدم عالم أمريكي وقال إن الأسماء قد كثرت كثرة عظيمة ، وصارت من أسباب الفوارق بين الشعوب بل بين أبناء الأمة الواحدة لدوافع دينية، فهو لذلك يقترح الاستغناء عن الأسماء بتاتاً وتسمية الناس بأرقام فيقال مثلا (٤٣ ابن ٣٥) وهكذا . ولذلك سوابق ، فالمسجونون والعساكر وعمال الترام يعرفون في معظم الأحوال بأرقامهم

والانجليز يشيع بينهم اسما (جون) و (إسميث) حتى ليبلغ عدد من يسمون بهذين الاسمين في انجلترا مليوناً من السكان

وفي مصر نجد الأغلبية العظمى يشيع بينها (محمد ، محمود ، أحمد ، على)

وللألقاب كذلك غرابة : فبعضها يدل على معان غريبة ، ربما كانت ثقيلة ، ولكنها اشتهرت فأصبحت سهلة ذائعة مقبولة (البلط ، الجحش، أبو شوشة، البرش. أبوشناف، عجور، شبايك)

الأسماء والقانون

جرت العادة أن يطلق الاسم على الطفل فتسجله القابلة في سجل أعد لذلك بمكاتب الصحة ، ومتى عرف الابن أو البنت بهذا الاسم فلا يجوز تغييره إلا بشروط خاصة ، أن يتقدم الطالب إلى بعض الجهات القضائية ويدفع رسماً خاصاً ، ويأتي بشهود ويسجل اسمه الجديد ، والغرض من هذا التشديد في التغيير تضييق السبل أمام من يريد الفرار من حكم القضاء أو من دين عليه . وكثير من النـاس يتقدمون لتغيير أسمائهم إما لأنها مكروهة في نطقها أو لاشتهارهم بغيرها بين الناس

وهناك كثير من الناس لهم أسماء رسمية وأخرى عرفية : فالأسماء التي سجلت في سجل الميلاد هي الرسمية ، وقد يعرفون بغيرها عرفاً واصطلاحاً بين مواطنيهم ولكن الأحكام القضائية والشهادات الدراسية تصدر بالاسم الرسمي

الأسماء والحظ

التفاؤل بالأسماء والتشاؤم بهـا قديم جداً ، فقد كان قدماء المصريين يتفاءلون بأسماء آلهتهم فيسمون بها أو ينسبون إليها (خفرع ، آمون ، حتب ، توت عنخ آمون) وكان العرب يسمون أولادهم بأسماء يتشاءم منهـا (تأبط شرا ، أبو الغول، أبو لهب ، أبو جهل) وفي نفس الوقت يسمون عبيدهم بأسماء يتفاءل بها (الفضل ، جوهر ، فرج ، سالم ، سرور) وقد سئل بعضهم في ذلك فأجاب : (إنما سمينا عبيدنا لنا، أما أبناؤنا فسميناهم لأعدائنا)

ومما يؤثر : أن عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم حينما بشروه بولادة النبي قال سموه (محمداً) فاني لأرجو أن يحمد في الأرض وفي السماء ، والمسلمون يتفاءلون دائما بهذا الاسم المبارك الكريم

ولكن الاسم فيه معنى من معاني التكريم للانسان والسمو إلى منزلة يتفرد بهـا ويمتاز عن غيره من المخلوقات ، فلو أخذنا بنظام الأرقام كان ابن آدم سلعة من المتاع ولكن من يدري :

فالليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيب

السيد شحاته
المدرس بالجامعة الأمريكية

خواطر ورمـــوز

للأستاذ عبد المنعم خلاف

١ – أطماع لا حد لها

تكتب يد بايدة ما رأته عين ضيقة في الدنيا الواسعة ذات الأبواب التي لا عدد لها ، كتابة المتعجل الذي يريد أن يرى ويسجل قبل الرحلة التي لا رجعى بعدها هنا ...

ورحلتنا من هنا قد حملت كثيراً من الركب على أن يخففوا ما استطاعوا ، وأن يمروا على أشياء الدنيا بالنظرة الخاطفة ، والخطرة العابرة، إيماناً بأن كل شيء هنا للفناء والعفاء ، فلا غناء فيه ولا وراء من أخذه في الحس وتسجيله في النفس والطرس بالتأمل والدرس

بيد أن كل هذه الأضواء الفانية ، والألوان الناصلة ، والرؤى المتلاحقة ، والدنيا التي تمتلىء وتفرغ كل لحظة ... هي أحق شيء بالتسجيل وفتح الأعين الخفية عليها من غير إغماض أبداً

فلئن عشنا حياة أخرى ، وهو الموقن به في إلهام الروح، والمحكوم به في إثبات العقل ، فان أمتع شيء لنا هناك أن نستعرض صورنا هنا يوم تمحي هذه الأرض من الوجود ولا تبق إلا في النفس الانسانية كرحلة من مراحلها في سيرها إلى غايتها المجهولة

ولكن الألفاظ ضيقة والدنيا واسعة والحياة سريعة السير . فلا أدرى هل أنا مستطيع أن آخذ في ألفاظى الضيقة ما أريد أخذه حتى أشعر يوم يقبل اليوم النهائي أنني خارج من الدنيا بملء الأوعية « بأفلام » طويلة كاملة الاخراج ؟

أنا في إرهاق دائم بمطالب العيش ومشاكل الناس وضرورات الأبدان ... وإنما أنظر إلى ما أمام الستار وما وراءه ، في فترات قصيرة كفترات الأحلام .

فما لي على إدراك هذا يدان ولا قدرة إلا أن يضاعف صاحب الحياة من قوى نفسى فيمدنى بعيون كثيرة وآذان كثيرة « وعدسات » كثيرة .

من لي بمن يدمجنى في كل شيء حتى أتحدث عنه كأنني هو متحدثاً عن نفسه ؟ !

فيا أيتها الدنيا البُعدَى ... ! اكشفى لى القناع واهتكى أستارك لتلك العين الضيقة التي أرمدها السهر على بابك، وولعها الدنو من رحابك ، حتى ما وراء الستار .

فإن مبالغ على بدنياى أن أولها : أنا ... وثانيها الأرض ... وثالثها : السماء .. ورابعها : أنا غير الأولى .. وخامسها : هؤلاء جميعاً ! ...

فهات يا دنيا ! املئى يدى وفمى وكل وعاء فىّ ... إنى واقف أنتظر الكنوز الموعودة ... يداي ما زالتا مبسوطتين منذ أن عرفت ... وفمي فاغر إلى فوق ، وعيناى كهفا ظلام لم تقذفا بما ينفذ إليهما من هذا الضوء الذى تراه أيضاً كل العيون الضالة فلا يهديها ...

٢ – والمحصول ؟

ولكن ...

هل في الدنيا إلا طريق واحد تذهب فيه الأقدام طولا وعرضاً على الشوك والحصى والغبار ، ثم تنتهى إلى الحفرة التي لا تشبع أبداً من الجثث والحطام ؟

وهل أنا عالم بذلك علم الذى ينظر الخواتيم دائماً في المبادئ ؟

وهل لا تزال تزيغ حواسى ذلك البريق الخالب فأجري وراءه وأنا أعلم أنى أجرى إلى لا شيء ؟

أو لم أجرب المتلون وما وراءها ودنيا الألفاظ التي تضع الأسماء ليعيش الناس بها فقط ؟

وهل أذهب كما ذهب أكثر الناس غريق الوهم والسعى المُكْدِى إلى الأصفار التي غرنا منها أنها تمد أيضاً كما تمد الأرقام ؟

ما ذا وراء التراب المزوق يا أولى الألباب ؟ إملأوا منه أوعيتكم ما شئتم ... !

ما ذا وراء التجارة بالألفاظ أيها الحكماء ؟ املأوا الصحف بها ما أردتم ... !

فليس في الدنيا إلا يوم واحد تفرغه الشمس أضواء وظلاماً على أجسادنا فتبنيها ثم تبليها به ...

والأرض دائماً تقرع بالأقدام ... والصبح دائماً معه صوت الطير ... والليل دائماً معه نجومه ... والمحصول عدد لا نهائي من الأصفار !

مائة صورة من الحياة

للأستاذ على الطنطاوى

٦ — رطل عنب

كان عندنا منذ أسبوع عمال أنفذهم صاحب النزل ليصلحوا شيئاً فى الدار . وابتغاهم من الأرمن ولم يسمع نصيحتى اليه بأن يستبدل بهم عمالاً من أهل البلد ، وتعلل على بأن هؤلاء أجود عملاً ، وأقل كلفة . ولقد وجدتهم والله كما قال : عملوا فى اليوم ما لا يعمله غيرهم فى الثلاثة ، فكنت أرقبهم وأدرس طبائعهم فما أنكرت منهم شيئاً حتى أظهر الظهر وزال النهار ، فقطعوا العمل ، وقعدوا يأكلون ويستريحون ، فلم يجدوا العنب ، والعنب الأحمر فى الشام قوام حياة العامل لقلة ثمنه ، وكثرة فائدته ، وإن من يأكله إنما يأكل الصحة والقوة ثمراً شهياً ، فبعثوا أحدهم بقروش ليشترى لهم رطلا ، ولبثوا ينتظرون ... فمضى ربع ساعة وربع آخر ، وربع ثالث ، ولم يحضر، ثم جاء يلهث من التعب ، فلم أتمالك أن صحت به :

— أين كنت ياهذا ؟ أرحلت فى طلب العنب ، والعنب ملء الأسواق ؟

— قال : لقد اشتريته من (البرامكة) ؟

— قلت : من البرامكة ؟ على مسافة كيلين اثنين ؟ ولم هذا العناء ؟ ...

— قال : لم أجد بائعاً أرمنياً إلا هناك ! ! ...

٧ — أبوه !

أخبرنى صديق لى من جلة العلماء ، قال :

كنت أتولى المدرسة الخيضرية ، وهى من المدارس القديمة فى دمشق ، فجاءنى ذات يوم شيخ هرم عليه ثياب أخلاق ، وعمة بالية ، فأقبل على استحياء يسألنى عملا فى المدرسة وظيفته خمسة أرغفة فى اليوم . فأعطيته الذى يريد ، ولم أسأله عن نفسه حتى مرت أيام ، فخبرنى أن له ابناً ، ولكن ابنه يعرض عنه وينكره ، فعجبت من ذلك وقلت له : من هو ابنك ؟

— قال : فلان !

فلما سمعت الاسم صعقت ، وعدت أسأله :

— فلان ؟ الأستاذ الكبير ، صاحب الشهادات الكبرى من أوربا ..؟

— قال : نعم ، هو والله ابنى . ولقد أنفقت عليه مالى وشبابي ، فلما صار شيئاً ، جزانى شر جزاء ، وجعل مكافأتى الانكار والاحتقار ، واضطرنى إلى سؤال الناس وإراقة ماء وجهى فى رغيف من الخبز

فقلت : أنا أكلم ابنك ، فهو صديقى ...

قال : لا ، لا تفعل سألتك بالله . . . فانه ان عرف أنى خبرتك ضربني وآذانى . لقد حرم علىّ أن أنبيء أحداً أني أبوه !

قال صديقى الأستاذ : هذا والله ما كان ، ما زدت فيه حرفاً ولا نقصت ! ...

«دمشق» على الطنطاوى

---

٣ — ولا بد من جنون أيها العقلاء !

ولكن أيضاً ...

لا بد من جنون أيها العقلاء لندرك !

لا بد أن نصر على هذا النداء :

أمسكى الماء أيتها الغرابيل ... اقبضى على الريح أيتها الأصابع. امضغى الهواء أيتها الأضراس ... أدلى الدلاء إلى السراب أيتها الأيدى ... اطحنى القرون أيتها الطواحين ...

٤ — الأعمى والمرآة

— وهذا الاصرار هو أمانىُّ أعمى ينظر فى مرآة ! ليرى فيها خيوط ضوء من أفق مجهول يقع على وجهه المجهول لديه الخالد فى الظلام بخلود أقفال عينيه !

إنه يتعزى بأن المرآة هي التى تراه ... فاعذروه واتركوه يقلب وجهه فيها ...

عبد المنعم خلاف

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣٨ —

١ — « ... وأنا على كل أحوالى إنما أنظر إلى الجمال كما أستنشى العطر يكون متضوعاً فى الهواء : لا أنا أستطيع أن أمسه ولا أحد يستطيع أن يقول أخذت منى. ثم لا تدفعنى إليه إلا فطرة الشعر والاحساس الروحانى ، دون فطرة الشر والحيوانية ، ومتى أحسست جمال المرأة أحسست فيه بمعنى أكبر من المرأة ، أكبر منها غير أنه هو منها ! »

* * *

٢ — « ... ولكنه عاشق يثير العشق بين يديه ؛ فكأنه هو وحبيبته تحت أعين الناس : ما تطمع إلا أن تراه وما يطمع إلا أن يراها ولا شيء غير ذلك ؛ ثم لا يزال حسنها عليه ولا يزال هواه إليها ، وليس إلا هذا

« والذى هو أعجب أن ليس فى حبه شيء نهائى فلا هجر ولا وصل ، ينساك بعد ساعة ولكنك أبدا باقية بكل جمالك فى نفسه . والصغائر التى تبكى الناس وتتلذع فى قلوبهم كالنار ليجعلوها كبيرة فى همهم ويطفئوها وينتهوا منها ككل شهوات الحب ، تبكيه هو أيضاً وتتلذع فى قلبه ، ولكنها تظل عنده صغائر ولا يعرفها إلا صغائر ؛ وهذا هو تجبره على جبار الحب ! »

(هو الرافعى)

الجمال البائس

وهذا حب جديد وليلى جديدة ، ولكنه حب كما وصف الرافعى ؛ فما هو إلا سموٌّ بالنفس فوق نوازع البشرية إلى غيب السموات يتنور فى عوالمها الخفية نورَ الانسانية فى حقائقها العالية

كان ذلك فى صيف سنة ١٩٣٥ ، وكان الرافعى يصطاف فى سيدى بشر ؛ ثم كان يقصد إلى الاسكندرية أحياناً ليلقى صديقه السياسى الأديب الأستاذ حافظ ... ؛ فان بينهما لصلات من الود ترجع إلى نحو عشرين سنة ، منذ كان الأستاذ حافظ محامياً فى طنطا .

وكان صديقه يقضى إجازته فى الاسكندرية ، مشغولا بكتاب يهم أن يصدره فى شأن من شئون الاسلام أوحى إليه بموضوعه فترةٌ غير قصيرة من تاريخه السياسى قضاها فى بلاد الحجاز ، وكان الرافعى يعاونه فى إنشاء كتابه ...

وكانا يتواعدان على اللقاء فى ملهى من ملاهى الاسكندرية على شاطئ البحر ، حيث تتهيأ لهما الفرصة من هدوء المكان فى النهار وقلة إقبال الناس عليه ، لما هما فيه من عمل

فى هـذا الملهى كانت تعمل فرقة الراقصة المشهورة « بيا » فيبتهج كل مساء بمن يفد إليه من طلاب اللهو والهوى ، ليفرغ الرافعى وصاحبه فى النهار يداولان الرأى فى شئون الأدب والدين والفلسفة . وشتان ليله ونهاره !

وكثر تردد الرافعى وصاحبه على هذا الملهى حتى ألفهما المكان وألفا ما فيه ، وألفهما فيمن ألِف فتاة من راقصات الفرقة ، هى الايطالية الحسناء « بـ ... » فما كان بينها وبين الرافعى إلا نظرة وجوابها ثم كانت قصة حب ...

وجلس الرافعى إليها يتحدثان ذات نهار ، وكشفت له عن صدرها وكشف لها ، فكان بينهما حديث طويل ، شهده الأستاذ حافظ من بدايته إلى منتهـاه ، ثم ترك الرافعى لهواه وتركته صاحبته ...

وذاق الرافعى مرة أخرى لوعة الحب وبرحاء الهوى ، وكانت محبوبته الأخيرة راقصة من بنات الهوى تعمل فى مسرح هزلى من مسارح الصيف المتنقلة بين شواطئ الاسكندرية ... !

تلك هى صاحبة « الجمال البائس »

* * *

وانتهت أشهر الصيف وعاد الرافعى إلى طنطا وعادت الفرقة الراقصة إلى القاهرة ، وشت ما بين الحبيبين !

ولقيتُ الرافعى بعدها فحدثنى حديثه والكلمات ترتعش على شفتيه وفى عينيه بريق عجيب ؛ ثم تهدج ورق صوته وهو يقول : « مسكينة ! ليتنى أستطيع أن أبلغ ما فى نفسها لأعلم ما تشكو من حظها وما تنكر ... ليس موضعها هناك ، ولكنه القدر ! »

ولقيته فى القاهرة ذات مساء ، وقد فرغ من مقالات

« الجمال البائس » فدعانى أن أصحبه إلى الملهى الذى تعمل فيه لبراها من بعيد ، وأرسل من يطلب له تذكرتين عند شاب من أبناء عمومته يعمل فى « دار الهلال » وأبطأ عليه الرسول فلم ينتظر ، فنهض ونهضتُ معه واتخذ طريقه إلى « عماد الدين » ..

ووقف بالباب ينظر الصور ويقرأ الاعلان وهو يسألنى : « أين اسمها ؟ وأين صورتها ؟ وأين ... وأين هى ! »

وطالت وقفته وهو ينظر إلى صورتها فى إطار كبير إلى جانب الباب يضم صورتها إلى صور شتى من راقصات الفرقة ما منهن إلا لها جمال وفتنة ، ولكن عينيه كانتا تنظران إلى صورة واحدة ، إلى صورتها !

ثم تحول عن الباب مسرعا عجلان وهو يجمجم بكلام لا يبين وقال لى وقد أسرعت إليه حتى حاذيتُه : « أيليق أن ندخل إلى هذا المكان ؟ أتراه من المروءة ؟ وددت لو رأيتها ولكن .. »

وانتهينا إلى قهوة « بول نور » فجلس وجلست ، ومضى يتحدث عن السحر والشعر وفتنة الجمال ؛ فما هى إلا لحظة ثم مرت بنا منحدرة من شارع فؤاد إلى شارع سليمان باشا ، فأتبعها عينيه من نافذة إلى نافذة حتى توارت فى مزدحم الناس ثم عاد إلى نجواه وشكواه ...

وجلس مرة يتحدث إلى صديقه الأستاذ حسن مظهر محرر « اللطائف » عن ذات « الجمال البائس » فأهدى إليه صورتها ؛ فما زالت هذه الصورة معه إلى أخريات أيامه لا تفارقه .

ولقد كان يحسن الظن بعلمها وفهمها ، حتى ليحسبها من قراء الرسالة فتفهم ما كتب من مقالات الجمال البائس لتعرف موضعها من نفسه !

وكان لا ينفك يسأل : « أتراها علمت ؟ أتراها قرأت ..؟ »

وما أحسبه لقى صاحبا من أصحابه إلا تحدث إليه عن صاحبة الجمال البائس ...

جلست منذ قريب إلى الأستاذ توفيق الحكيم تتحدث عن الرافعى وذكر من خبره فقص علىّ ، قال : « كان الرافعى يجلس على هذا الكرسى ، من هذه الغرفة ، وكان ذلك قبل منعاه بأشهر قليلة ؛ ومضى الحديث بينى وبينه حتى جاء ذكر صاحبة الجمال البائس ؛ فأخذ الرافعى يصفها لى وصفا لا أجد أبلغ منه ولا أجمل من صاحبته ، وطاوعه القول على تصويرها كما هى فى نفسه ؛ فما كانت عندي بما وصف إلا امرأة قد اجتمع لها من ألوان الجمال وفنون الحسن وسحر الأنوثة ما لم يجتمع مثله لامرأة ؛ وتمثلت صورتها لعينىّ كما أراد أن يصف ؛ فلما بلغ آخر الحديث عنها ، قدم إلىّ صورتها فى ورقة لأرى بعينى مصداق ما سمعت ...

قال الأستاذ توفيق الحكيم : « ونظرت إلى الصورة التى صورها لى حديث الرافعى وإلى الصورة التى فى الورقة ، فكأنما استيقظت من حلم جميل !... يرحمه الله لقد كان شاعرا ... »

كذلك كان سلطانها فى نفسه وأثرها فى خياله !

* * *

وكانت نشأة هذه الفتاة فى طنطا لأول عهدها بالرقص ، وكانت تعمل مع فرقة قروية أقامت « خيمتها » فى طنطا بضع سنين ؛ ولم يكن الرافعى يعلم ذلك حتى عرفتها فى فرقة « بيا » ورأيت صورتها ؛ فلما أخبرته به أغمض عينيه وراح فى فكر عميق ... أتراه كان ينظم شعرا لم يجهر به ولم يسمعه أحد ؟

والعجيب أن الرافعى وهو فى غمرة هذا الحب الجديد لم ينس صاحبته « فلانة » ولم يفتر حبه لها ، بل أحسبه كان أكثر ذكرا لها وحنينا إليها مما كان ، وكأنما كان قلبه فى غفوة فأيقظه الحب الجديد ورده إلى ما كان من ماضيه

لقد كان قلب الرافعى عجيبا فى قلوب العشاق ؛ ليت من يستطيع أن يكشف عن أعماقه !

طنطا — محمد سعيد العريان

جورجياس

او البيان

لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١٠ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجمل محاوراته وأكلها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »

« رينونيه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »
٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »[1]

ط — (مجيبا بولوس) فبرهن لى إذاً على أن الخطباء قوم عقلاء ، وعلى أن البيان من الفنون وليس بأحد أقسام الملق ، وهنالك تكون قد ناقضت رأيى ! ، أما إذا لم تناقضنى فلن يكون للخطباء الذين يفعلون فى الدولة ما يشاءون ، ولا للجبابرة الطغاة أى خير ! وها قد اعترفت بنفسك — حسبما جاء فى قولك — : بأن القوة خير ، وبأن فعل ما يشاء الانسان عند ما يكون مسلوب العقل شر ! ، أليس كذلك ؟

ب — بلى

ط — وإذا كيف يصير الخطباء والجبابرة جِدَّ أقوياء فى الدول إذا كان بولوس لم يناقض سقراط ولم يقنعه بأنهم يفعلون ما يريدون ؟

ب — ياللرجل ...!

ط — إننى أدعى أنهم لا يفعلون ما يريدون ! فناقضنى !

ب — ألم توافق منذ لحظة على أنهم يفعلون ما يبدو لهم كأحسن الأفعال ؟

ط — وما زلت للآن موافقا على ذلك ؟

ب — فهل يفعلون — على ذلك — ما يريدون ؟

ط — ذلك ما أنكره !

ب — حتى ولو كانوا يفعلون « ما يسرهم » ؟

ط — بلى

ب — إنك لتقول أشياء بالغة الغرابة وجديرة بالرثاء ياسقراط ؟

ط — لا تلمنى هكذا سريعا يابولوس إذا استعملت لهجتك وأساليبك ! ، إنك إذا كنت قادرا على توجيه الأسئلة إلىّ فبرهن لى أنى قد غششت نفسى ! ، وإلا فلتجبنى بنفسك

ب — وإني لجد راغب فى إجابتك كيما أعرف أخيرا ماذا تريد أن تقول !

ط — أتعتقد أن الناس يريدون كل ما يفعلون من أعمالهم أم هم لا يريدونها إلا من أجل شيء آخر ؟ مثلا أولئك الذين يتناولون جرعة الدواء التى يقررها الطبيب : أتراهم يريدون فى رأيك أن يبتلعوا مالا يسيغونه ؟ أم هم لا يفعلون ذلك إلا من أجل شيء آخر هو « الصحة » ؟

ب — واضح أنهم لا يريدون من ذلك غير الصحة !

ط — وبالمثل أولئك الذين يركبون البحر أو ينهمكون فى

[1] (١) أثبت سقراط فى العدد الماضى أن أقسام «الملق» الأربعة — وهى التزين والطهى والسفسطة والبيان — تتزلق تحت الرياضة البدنية والطب والتشريع والعدالة ، وتختفى فيها وتدعى زوراً أنها أقدر منها وأنفع ! ثم مضى بعد ذلك إلى مناقشة «بولوس» تلميذ جورجياس فى موضوع «القوة» ليبين له أن الخطباء والجبابرة ليسوا من القوة فى شيء وإن استطاعوا قتل الناس ونفيهم وسلبهم وتجريدهم ! وسنرى اليوم كيف يبرهن سقراط بحواره البالغ غاية الدقة والاحكام — على هذه القضية الأخيرة ، وكيف يسخر من قول «بولوس» ويقول إن أمثال هؤلاء الطغاة أجدر بالرحمة والاشفاق منهم بالحسد والاعجاب لأنهم إنما يفعلون مالا يريدون مادمنا لا نريد بطبيعتنا غير الخير

ويلاحظ بعد هذا أننا نعتمد منذ العدد الأسبق على ترجمة الأستاذ E. Ohambry أستاذ الشرف بكلية « فولتير Voltaire » ، مع الرجوع عند الضرورة إلى ترجمة الأستاذ P. Lemaire «المعرب»

كل تجارة أخرى فانهم لا يريدون ما يباشرونه يوميا — لأن من يواجه البحر يعرض نفسه لصنوف العوائق والأخطار — وإنما الذى يريدونه فى رأيى هو الشىء الذى من أجله يبحرون وأعني به « الثروة » ، لأنا لا نبحر إلا لكى نثرى !

ب — ذلك مؤكد !

ط — أو ليس الأمر بالمثل فى جميع الأفعال ؟ أى إذا فعل الانسان شيئا من أجل غاية ما ، فانه لا يريد ما يفعل ، ولكنه يريد « الغاية » التى من أجلها يفعل ما يفعل ؟

ب — بلى !

ط — والآن هل يوجد فى الدنيا شىء لا يكون حسنا أو رديئا ، أولا هو بالحسن ولا هو بالردىء ؟

ب — لا يوجد فى الدنيا شىء على خلاف ذلك ياسقراط !

ط — أو لا تعد الحكمة والصحة والثروة وكل الأشياء الأخرى المماثلة من الأشياء الحسنة ؟ بينما تعد نقائض هذه من الأشياء الرديئة ؟

ب — نعم

ط — وألا تقصد بالأشياء التى هى بين بين ، تلك التى قد تكون حسنة وقد تكون رديئة ، أعنى تلك التى لا تمايز فيها ، كالجلوس والمشى والملاحة والجرى ، أو كالحجارة والخشب وكل ما شابه ذلك من موضوعات ؟ أليست هذه فى رأيك هي التى ليست بالحسنة وليست بالرديئة ؟ أم ترى هى شىء آخر ؟

ب — كلا ! إنها كذلك لعمرى !

ط — والآن عند ما نفعل هذه الأشياء غير المتمايزة ، أنفعلها من أجل أشياء حسنة أم نفعل الأشياء الحسنة من أجلها ؟

ب — لا شك فى أننا نفعل هذه الأشياء من أجل غايات حسنة .

ط — وإذا فهو « الخير » الذى نسعى إليه بالمشى عند ما نمشى لأننا نرى أننا نكون فى حالة أحسن إذا مشينا . وبالمثل عند ما نبقى — على النقيض — ساكنين ، فاننا نفعل ذلك من أجل نفس الغرض ، وهو الخير ، أليس ذلك صحيحا ؟

ب — بلى !

ط — ونحن كذلك لا نقتل — عند ما نقتل ، ولا ننفى الغير ولا نسلبه إلا عند ما نقتنع بأن الأفضل لنا هو أن نفعل ذلك لا ألا نفعله ؟

ب — بالتأكيد !

ط — وإذا فنحن لا نفعل كل ما نفعل من هذا النوع إلا من أجل « الخير » !

ب — أوافق على ذلك .

ط — وإذا قد اتفقنا على أننا عند ما نفعل شيئا من أجل غرض ما ، فاننا لا نبغى الشىء حينذاك وإنما نبغى الغرض منه ؟

ب — بالتأكيد !

ط — وإذا فنحن لا نريد ذبح الناس ونفيهم وتجريدهم من أملاكهم لمجرد هوى يثير ، وإنما نفعل ذلك مريدين عند ما يكون فى ذلك نفع لنا . أما إذا كان فى ذلك ضرر لنا فنحن لا نريده لأنا لا نريد إلا الخير كما صرحت أنت بذلك ، أما ما هو ليس بالحسن ولا بالردىء فنحن لا نريده كما لا نريد بالأولى كل ردىء ، أترى ذلك صحيحا ؟ أيلوح لك أنى محق يابولوس ؟ أجبنى بالنفى أو الاثبات .. ! مالك لا تجيب ؟

ب — إنك محق ياسقراط ؟

ط — وما دمنا قد اتفقنا على ما تقدم ، فهل إذا قتل خطيب أو طاغ شخصاً آخر أو نفاه من المدينة ، أو جرده من أملاكه معتقداً أنه يخدم بذلك منفعته ، بينما لا يكون فى ذلك إلا ضرره ، أتراه يفعل حينذاك ما يسره ؟

ب — بلى

ط — ولكن أتراه يفعل أيضاً ما « يريده » إذا رأى أن النتيجة ستكون وبالا ؟ ... لماذا لا تجيب ؟

ب — لا يلوح لى أنه يفعل حينذاك « ما يريد[1] » !

ط — وإذاً أيمكن أن يكون لمثل هذا الشخص « قوة كبيرة » فى المدينة ، إذا صح ما سلمت به من أن القوة الكبيرة خير ؟

ب — كلا ، فذلك مالا يمكن أن يكون !

(١) الارادة هنا بمعنى الروية والتفكير لأن إفلاطون كان يعتقد أن من يفكر ويتروى فى جميع أفعاله بحيث « يعلمها حق العلم » لا يمكن أن يجلب الضر لنفسه قط — وفى ذلك من العلو بالطبيعة الانسانية والسمو بأخلاقها مالا يتفق — مع الأسف — والواقع الأليم

ط — وإذاً فقد كنت محقاً فى قولى إن المرء يستطيع أن يفعل فى الدولة ما يسره دون أن يكون عنده من أجل ذلك قوة كبيرة أو دون أن يكون فاعلا لما « يريد » !

ب — وما دام من شأنك يا سقراط أنك لا تفضل أن تكون « حراً » فى الدولة بحيث تفعل ما يسرك، على أن تكون بعكس ذلك، أفلا تحسد من تراه يقتل ويسلب ويقيد بالحديد؟ من يسره أن يفعل معه ذلك ؟

ط — أتقصد أنه يفعل ذلك عدلا أم ظلماً ؟

ب — ليكن عدلا ذلك أم ظلماً، أفلا ترى أنه جدير بالحسد فى كلتا الحالتين ؟

ط — قل شيئاً أفضل من ذلك يا بولوس !

ب — ولم لا ؟

ط — لأننا يجب ألا نحسد من هم ليسوا جديرين بالحسد كما لا يجوز أن نحسد الأشقياء والتعساء ! بل يجب على النقيض أن نرحمهم يا بولوس[1] !

ب — ماذا ؟ أترى أن أولئك الذين أتحدث عنهم جديرون بالرحمة ؟

ط — وكيف لا يكونون جديرين بها ؟

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) ذلك هو المسيح عليه السلام فى ثياب أفلاطون ! أو هو أفلاطون فى ثياب المسيح ، فترى هل ينصت العالم اليوم لتلك الرسالة العليا ؟
(المعرب)

غزل العقـــاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٨ —

متى كان الشاعر صادقا فى شعوره وتعبيره ، صاحب خصوصية فى فهم الحب والحياة، متعدد الجوانب منفسح الآفاق ؛ كثرت فى غزله — وفى شعره كله — صور « الحالات النفسية » — وهى الخاصة التى رصدنا لها هذا المقال فى غزل العقاد — ولم يقف فى الغزل عند الصور العامة الشائعة ، لأنه معنىّ بإظهار خاصة نفسه ، وتصوير خلجات ضميره .

وخصائص العقاد العامة — كما قلت فى الكلمة الماضية — لا يخطئها الناقد فى كل بيت له وكل قصيدة ، حتى ليستطيع دارسه أن يثبت له أو ينفى عنه أقوالا لم يعلم صدورها عنه . وبعض إخوانى الآن يتفكه معى ، فيعرض على أقوالا منثورة ومنظومة ناسبا إياها للعقاد ، فلا أجد صعوبة ما فى نفى بعضها وإثبات بعضها ، وبيان حكمة النفى والإثبات بخصائصه العامة التى لا تخطئ ولا تتخلف

هذه الخصائص أشد وضوحا فى شعر « الحالات النفسية » بطبيعة الحال . وهذا الضرب من الشعر يمتاز فيه العقاد بالوفرة والتنوع والشمول ، كما يمتاز « بالخصوصية » والتفرد .

ولا بد من التنبيه إلى هذه الامتيازات . فشعر الحالات النفسية قد يكون ، ولكنه يكون ذا لون واحد ، أو قريبا فى غوره وانبساطه ، فلا يكون — إذ ذاك — ميزة للشاعر ، إلا من حيث إشارته إلى وجود البذرة الصالحة للإنبات ؛ بذرة الإحساس الصادق الأمين .

والحالات النفسية التى سنعرضها فى هذا المقال فيها الطريف فى نوعه وشكله ، وفيها الشائع فى نفوس المحبين الصادقين ، ولكنه معروض فى شكل جديد ونسق واتجاه خاصين خصوصية العقاد فى عالم الشعراء

* * *

الصبابة المنشورة : الحب الذي طمسه السلوان ، وعفى عليه النسيان ، يبعثه المقاد حيا ، ويشخصه جسما ، ويقول له ويستمع إليه ، ويعجب منه ويرثى لمصيره ، فى جو مرهوب مسحور ، كجو البعث والنشور .

صبابة قلبي ! أقبل الليل غاضياً ... فهي فقد يغشى الرفاتُ المغانيا
وقد تهجر الموتى القبورَ أمينة ... إذا الليل غشى بالرقاد المآقيا
وثوبى إلى المنيامع النوم فانظرى ... مكانك قد أقوى وعرشك خاويا
وسرى به سر الغريب . وطالما ... تربعت فيه قبـل ذاك لياليا
ولا تسألى : من بالديار ؟ فإنها ... على موثق ألا تجيب مناديا
بدا شبح عار من اللحم ، عظمه ... يجاذب أضلاعا عليه حوانيـا
يقاربُ فى قيد المنية خطوَه ... ويمشى به ليلامع الليـل ثانيا
وقال : سلام ! قلت : فاسلم وإن يكن
دعائى لميت بالسـلامة واهيا !
من الطارق السارى ؟ فقال : صبابة
نعمت بهـا حينا وما أنت ناسيا
فقلت : أرى جسما عريى من رواته
وعهدى به من قبل أزهر كاسيا
جهلتك لولا مسحة فيك غالبت ... بشاشتها أيدى المنون المواعيا
جهلتك لولا هزة فى جوانحى ... يدَ الدهر لاتبق من الشك باقيا
ألا شدَّ ما جار البلى يا صبابتى ... عليك . فكيف استل تلك المعانيا
أأنت التى أسهرتنى الليل راضيا ... وأنت التى أسكرت عينى صاحيا
وأنت التى كنا إذا الناس كلهم ... تولوا ، وجدنا منها فيك وافيا ؟
وأنت التى جليت لى الأرض جلوة
أسائل عنهـا الأرض وهى كما هيا
أسائل عنهـا كل شىء رأيته ... أما كنت فينان المحاسن شاديا
نفخت بها روحا فغرد صامت ... ورنم جلمود ، وأصغيت لاهيا
فلما ألمَّ البين لاذت بصمتها ... وأمسيت حتى بأذن الله صاغيا
وهل يسمع الصاغى إلى القبر نأمة ... ولو كان فيه «معبد» القوم ثاويا
نعم أنت لولا ساتر من منية ... وحسبك ستراً بالمنية ساجيا
وإن امرأ ماتت خوالج نفسه ... لقد جمع الشرين حياً وفانيا
حياة لها حـد ولا حد للردى ... فليت المنايا والحيـاة تواليا
كما تتوالى يقظة العيش والكرى ... وتعقب أنوار الصباح الدياجيا
إذن لتشوقنا الحمام اشتياقنا ... إلى النوم واشتقنا الحياة دواليا

درج الحب : الحب الظامىء للمزيد ما يصل إلى غاية حتى يتطلع إلى ما وراءها ، وهى حالة من أصدق حالات الحب التى لا يلتفت اليها المحبون ، فى حين أنها تكاد لاتتخلف فى كل حب طويل .

أبصرته . فـوددت ألزمه ... باللحظ فى حل ومرتحـل
وطفقت أرجو أن يحادثنى ! ... فبلغت ما أرجـو على مهل

حادثته والنفس شـيقة ... للنهل من فمه وللعلل !
وتهم تتبـع كل بادرة ... من فيه باللثمات والقبل

قبلتـه فتجددت علل ... غير التى داويت من عللى
الآن أطمع أن أكون له ... ويكون إذ يمسى ويصبح لى !
وأكاد أشفق أن تراعيـه ... ـحرصاً عليه ـ شواردُ المقل !

فى القلب شيطان يقول له ... زِدْ ، كلما أوفى على أمل
بالوكف لا نرضى فواعجبي ... كيف ارتضينا أمس بالبلل ؟

اليوم الموعود : وليس هو يوم لقاء عادى ، ولكنه يوم سيجعل له من جنته التى يخطر فيها كالغريب ملكا ذلولا ، يلتذ فيها التذاذ المالك الحر المنطلق من قيود الوله والضرورة والخلسة إلى آفاق المتعة المطلقة الراوية القريرة . وهى قطعة من ثمرات النضوج الفنى والنفسى ، ومن قطوف الحس الرقيق المترف الذي يفرق بين أدق ألوان الشعور

وفى أولها تعبير مبتكر طريف عن اللهفة إلى الموعد المرتقب حين يقول :

يا يوم موعدها البعيد ألا ترى ... شوق إليك ؟ وما أشاق لمغنم
شوق إليك يكاد يجذب لى غدا ... من وكره ويكاد يطفر من دمى
أسرع بأجنحة السماء جميعها ... إن لم يطعك جناح هذى الأنجم
ودع الشموس تسير فى داراتها ... وتخطها قبـل الأوان المبرم
ما ضر دهرك إن تقدم واحد ... يايوم من جيش لديه عرمرم ؟

ثم يأخذ فى بيان مهمة هـذا « اليوم الموعود » وتفرده فى الأيام ، وما عقد بمفرقه من تحول فى هذا الحب إلى الطلاقة والاستقرار :

لى جنـة يا يوم أجمع فى يدي ... ما شئت من زهر بها متبسم
وأذوق من ثمراتها ما أشتهى ... لا تحتمى منى ولا أنا أحتمى
وتطوف من حولى نوافر عصمها ... ليست بمحجمة ولست بمحجم

وتلذ لى منها الوهاد لذاذتى   بتصمد في نجـــدها وتسنم
لم آس بين كرومها وظلالهـا   إلا على ثمر هناك محرم
فكأنما هي جنـــة فى طيها   ركن تسلل من صميم جهنم
أبدا يذكرنى النعيم بقربها   حرمان مزءود وعسرة معدم
وأبيت فى الفردوس أنعم بالمنى   وكأننى من حسرة لم أنعم
يا يوم موعدها ستبلغنى المنى   وتتم لى الفردوس أى متمم
لا غصن رابية تقصر راحتى   عنه ، ولا ثمر يعز على فمى
سأظل أخطر كالغريب بجنتى   حتى أثوب على قدومك فاقدم
فأبيت ثم إذا احتوانى أفقها   لم أنه عن أمل ولم أتندم
فرحى يصبحك حين تشرق شمسه
فرح الضياء سرى لطرف مظلم

ثم يختم القصيدة بخاطرة هي إحدى « خصوصيات » العقاد في فلسفة الحرية والضرورة ممزوجة بعاطفة الحب ، فيرى الوله نوعاً من نداء الضرورة لا يليق بالخلد الذى تشبع فيه الرغبات ، وتقر القلوب وتحس بالحرية والانطلاق من الضرورات :

أمميرتى خلد السماء سماحة   صونيه عن وله صيانة مكرم
رفقا بخلدك أن تشوبى صفوه   إن لم ترى رفقا بمهجة مغرم

الليلة الفطيم : المتمة الخاصة التى لا يغنى عنها سواها ، لأن لها أما لا يغني عنها سواها ، ولو كن جميلات شهيات ، فاذا اجتمعن ولم تحضر هذه « الأم » فالليلة الفطيم لا ترضع ثديا آخر ولا تجد متمة أخرى !

يا له من طريف !

بكت الليـلة الفطيم شجاها   ما بكاء الفطيم بين الثدى
الثدى الحسان تبغي رضاها   ما لثغر الفطيم غير رضى ؟
لو أرادت لـكان عند مناها   كل صدر ، وكل نهد شهى
أمها ! أمها ! وليس سواها   ذات صدر على الشفاء ندي

ثم يخاطب ليلته هذه خطاب الأب الوائق ، يداعب طفلته واليقين يملأ نفسه ، والرضا يطلق البشاشة والدعابة فى وجهه ولسانه :

ليلتى . ليلتى . الحزينة صبرا   ليس هـذا الفطام بالأبدى
سوف تروين من أميمك ثمرا   فارضعى الآن من دموع الشجى
واذرفى هـذه المدامع غزرا   هل يضير البكاء عين الصبي ؟
من أذاب الرضا وعينيه سهرا   فى ارتقاب النعيم ، غير شقى

يوم : يوم أوله لقاء ومتاع ، وآخره فرقة ووحشة . وهو يوم يمر على كل حبيبين ، وهى وحشة تلمس كل قلب في هذا الموقف ، ولكن العقاد وحده هو الذى يعبر هذا التعبير ، وهو الذى يستقصى كل شوارد الاحساس ، ويتتبع كل مطارح الشعور ويفصل كل هواجس الضمير

ذهب الليـل ودار الملوان   وشدا قبل الصباح الكروان
ومشى الصبح على مهل كمن   يطرق الدار على غير أمان
وتلمست هنـا تغريدة   فى فمى تصدح فى هذا الأوان
قبلة منك هى الفجر وفى   طيها تبدو ثناياه الحسان
عن شمالى كلما ولى الدجى   وسرى فجر وحنت شفتان
وتراءت نظرة ناعســة   عند أخرى فتلاقت نظرتان
بان ليلى لا تسلنى كيف بان   أنت تدرى فاغتفر عىّ البيان
كلما يممت دارى قلت لى   أجناحان لنا أم قدمان ؟
فأتيت الدار لا أحسبها   قربت قط ودونى خطوتان
لم أكن أطلبها ويحى ولا   أطلب المهرب منها حيث كان
أين أمضى ؟ أين تحدونى الخطا ؟   ضاقت الدار وضاق المشرقان
راعنى نقص بعينى ويدى   وفمى الصادى وقلبي واللسان
خلتنى بدلت منهـا غيرها   ولو استبدل لها الخطب لهان [(١)]
أهزيع منك يا ليل مضى ؟   أمضى نصف ؟ أما ينشطران
بان ليلى ؟ لا تسلنى كيف بان   حاطك الله من الليل وصان
إى وربى بان . لكن بعد ما   نفدت ساعات عمرى فى ثمان !
لا زمان حينما لاقيتنى   فاذا فارقتنى كان الزمان
طلع الصبح حزيناً عاطلا   أتراه كان بالقرب يزان ؟
وسرت أنفاســه يا حسرتا   أين أنفاسك يا زين الحسان ؟
نسمات الصبح أورت كبدي   فحجبت الأنف عنها والعيان

ثم ماذا ؟ ثم يرى أن يتسلى بالقراءة ، وأن يستمع إلى أصدقائه وخاصته من دواوين الشعراء . فماذا يكون ؟

وتمشيت إلى كتبي على   مضض منى وللكتب أوان
يا « أبا الطيب » لا تهرف . ويا   صاحبي « الرومى » ماهذا الرطان !
شعراء الشرق والغرب أما   تملكون الصمت يوما فى عنان ؟ !
أو فهاتوا الشعر لى صرفا بلا   أحرف في الطرس منه أو معان
أفرغوه جمـلة فى خاطرى   ليس لى بالطرس والدرس يدان
رب شعر شاقنى لما تكد   شفتا قائله تنفرجان !

(١) لو بدله الخطب من عينه ويده وفمه وقلبه ولسانه ، أخرى جديدة لهان هذا الخطب فانما يحس حينئذ بجوارح غير جوارحه التى تنقل اليه الالم !

تاريخ الحيـــاة العلمية

فى جامع النجف الأشرف

للأستاذ ضياء الدين الدخيلي

— ١ —

هاهى ذى مجلة الأستاذ الزيات تحمل على أجنحتها رسالة الإخاء الاسلامى العربى؛ أما ترى كيف أصبحت رابطة التعارف بين أستاذ فى جامع النجف الأشرف وبين أخ له وراء الصحارى والقفار ؟ أى وكرامة العروبة والاسلام هو أخ لى تضمنى إليه ربقة الجامعة المقدســة وإن لم تسبق لى معرفة بذاته الكريمة . هلم بى يا قلمى لتلبية الدعوة وإن أثقلتك المشاغل. هذا أخى الأكرم ينادينى من (طنجة) لأبادله المرفة وأسهب له فى حديثى عن ســير المعهد

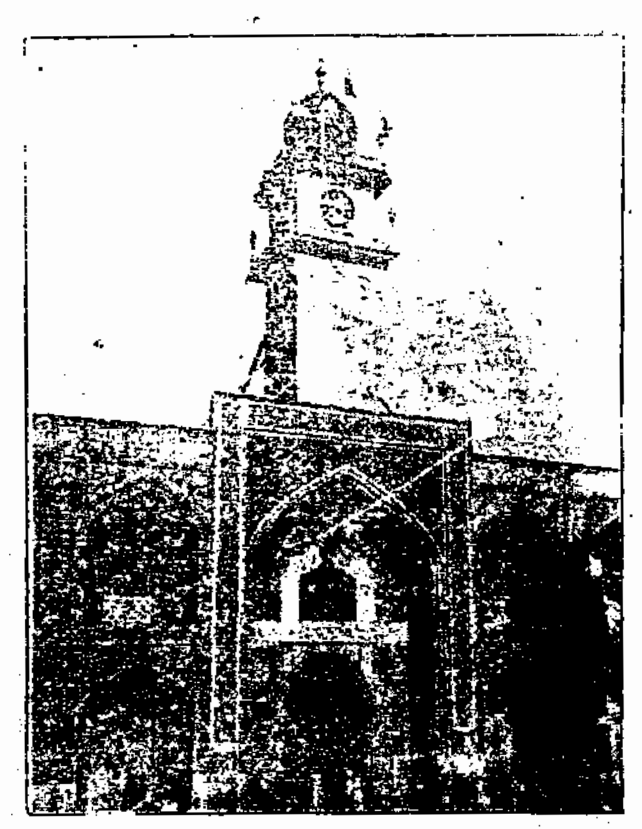
هذا شأنه مع الكتب — وهو ملول قلق — فما شأنه مع الأصدقاء الأحياء ؟

وتجلى الباب لى عن زائر	من أودائى كأنا أخوان
فتلفت ولبى شـــارد	كيف يكسى الود ثوب الشنآن
قال لى: (الأفق جميل) قلت لا	بل دميم . قال : زاه . قلت : قان
قال : زيد قلت : حاشا، فاشتى	نحو عمرو. قلت : كلا بل فلان!
فمضى يعجب منى سائلا :	أسلام ! قلت : بل حرب عوان
ذهب اليوم وما أحلكه	كان من يوم تاه النيران
لم يكن فى صبحه أو ليله	حظ عين ، أو لسان ، أو جنان
ذاك يوم يا حبيبى واحـد	وغد منه غنى عن بيان

نعم يا سيدى « غنى » عن بيان ، فقد عشنا معك فى هذه القصيدة يوماً مخنوق الأنفاس ، مكروب الصدر ، ورأينا فيه وحشتك وقلقك وتبرمك ، بل أحسسنا نحن بالوحشة والقلق والتبرم ، وتمثل لنا يومك لحظة لحظة وساعة ساعة ، كالح الوجه كئيب الطلعة ، ثقيل الخطوات !

« للمقال بقية » سيد قطب

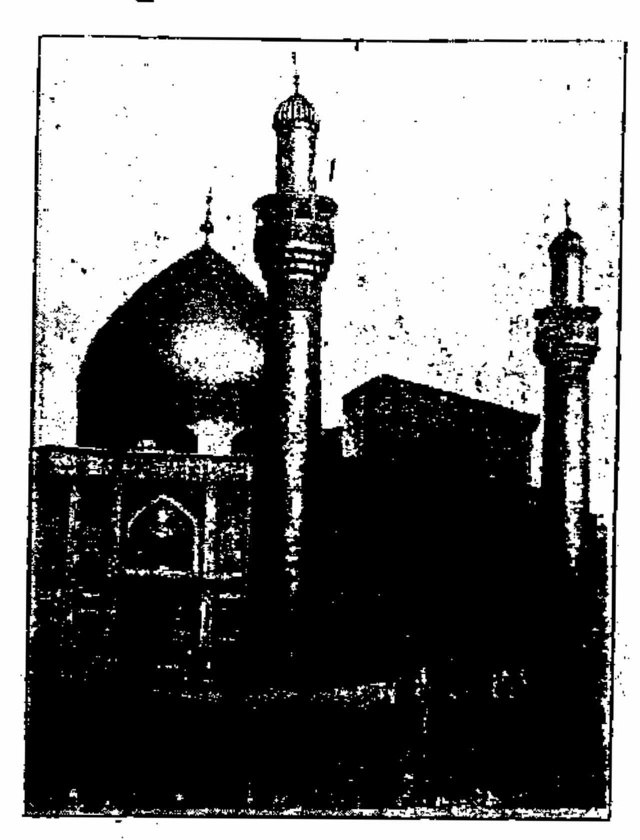
العلمى الذى أنتمى إلى قدسيته ... فهيا إلى (الرسالة) مجلة الأدب العالى



الباب الشرقى من جامع النجف الأشرف

أيها الأخ، إن تاريخ الدراسة فى هذا المعهد الجليل يتوغل فى أعماق العصور الاسلامية إلى أمد بعيد . وبما أن نواته هى البناية التى أقيمت على مرقد الامام على بن أبى طالب (ع) فلا بد للراغب فى معرفة حياته العلمية والأدبية فى أدوارها من طفولتها إلى شيخوختها — أن يلم إلمامة قصيرة بنشأة هذه البنية وتطورها فى مراقى العمران . فقد كان حب الشخصية الاسلامية القوية الدفينة هنا ، هو الذى جذب العلماء إلى مجاورة المرقد الطاهر ليشيدوا قواعد هذه المدرسة ويكونوا الحلقات لرفع منار الثقافة الاسلامية من الحديث والفقه وأصوله والفلسفة وما تستلزم من مقدمات تمهيدية وأسس أصبحت بعد حين مبانى مستقلة بنفسها كفنون الأدب والرياضيات من هندسة وحساب وهيئة . لقد استمر التدريس فى بناية القبر العلوى حتى الآن، فقد درست فيها النحو والمنطق والمعانى والبيان وعلم الفقـه وأصوله والفلسفة الاسلامية على أساتذة عرب وفرس فى حلقات كبرى وصغرى

ولقد نظمنا فيها الجاعات للتذاكر وحل عوائص تلك الأفانين من الثقافة وقضيت فيها ردحاً من الزمن قيماً . أما كيف قامت أركان هذه المدرسة العالية فذلك حديث جذاب ممتع



الايوان الذهبي والمأذنتان والقبة الذهبية على مرقد الامام على (ع)

هناك أسطورة تقص في (إرشاد الديلمي وعمدة الطالب) تقول إن القبر كان مخفياً عن عبث أعداء الدعوة العلوية إلى أن أظهره الرشيد وبنى عليه قبة ذات أربعة أبواب من طين أحمر وعلى رأسها جرة خضراء وتحتها الضريح من حجارة بيضاء . وحكى في فرحة الغري في قصة طويلة أنه قبل الرشيد وضع داود بن على المتوفى سنة ١٣٣ هـ صندوقاً دُرس بإهماله خوف سطوة العباسيين الذين تبدلت سياستهم تجاه العلويين حتى بطشوا بهم واضطهدوا شيعتهم وقعدوا لهم كل مرصد . وسبب آخر في اندراسه هو عامل طبيعي غير هذا الأدبي، فقد ساعد على ضياعه وقوعه في منخفض الوادي معرضاً لجرى السيول ومهب الرياح

قال في نزهة القلوب : وعقيب بناء الرشيد بعد سنة ١٨٠ هـ جاوره الناس . ويمكنك أن تعتبر هذه المجاورة بذرة الحياة العلمية الأدبية الحاضرة، فمن مستلزمات مجاورة هذا المبدأ الاسلامي الذي كان ولا يزال منتجع الزوار من قاصي الأرض ودانيها — تدبر الشريعة الاسلامية وتداول أحكامها. وقد وجدت إجازات رواية أحاديث قال راووها إنهم تلقوها في رواق قبر الامام (ع) وكان عهد هذا التلقي للعلم الاسلامي سحيقاً في القدم . وقرأت في (فرحة الغري) أنه في أيام المعتضد العباسي بنى محمد بن زيد العلوى الداعي الصغير (صاحب طبرستان الذي ملكها عام ٢٧٠ بعد أخيه الحسن ثم قتل عام ٢٨٧ كما في كامل ابن الأثير وقد تنسب العمارة لأخيه الحسن) — قبة وحائطاً وحصناً فيه سبعون طاقاً . وقد لوح ابن أبي الحديد إلى هذه العمارة إذ قال (زار القبر جعفر الصادق وأبوه محمد ولم يكن إذ ذاك قبراً معروفاً ظاهراً وإنما كان به سرح عضاه حتى جاء محمد بن زيد الداعي صاحب الديلم فأظهر القبة)[1] وقال ابن الأثير (وفي سنة ٢٨٢ هـ وجه محمد بن زيد العلوى سراً من طبرستان إلى محمد بن ورد العطار باثنين وثلاثين ألف دينار ليفرقها على أهل بيته ببغداد والكوفة والمدينة فسعى به إلى المعتضد فأمره أن يكتب إلى صاحبه بطبرستان أن وجه ما تريد ظاهراً وأن يفرق ما يأتيه ظاهراً وتقدم بمعونته على ذلك[2]) وهذا يؤيد ما رواه ابن أبي الحديد . وقد طرأ على ما بناه الداعي بناء الرئيس الجليل عمر بن يحيى القائم بالكوفة فقد عمر قبر جده (ع) من خالص ماله ثم قتل عام ٢٥٠ هـ[3] وحمل رأسه في قوصرة إلى المستعين العباسي[4]

وبعد هذا تقوم بناية ضخمة يشيدها رجل السطوة والعمران عضد الدولة البويهي ، فحين تولى السلطة في العراق شاد عمارة القبر الثالثة (أقام بعسكره في ذلك الطرف قريباً من السنة وبعث فأتى بالصناع والأساتذة من الأطراف وخرب تلك العمارة وصرف أموالا كثيرة جزيلة وعمر القبر عمارة جليلة حسنة)[5] وقرأت في عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب . . . إلى أن

(١) شرحه لنهج البلاغة ص ٤٥ ج ٢
(٢) تاريخ ابن الأثير ج ٧ ص ١٥٦
(٣) ج ٣ من مستدرك الوسائل للمحدث النوري
(٤) ترى من التاريخ أنه توفى قبل ملك الداعي فلابد أن الذين أخذنا منهم خبر إصلاحه عمارة الداعي قد غفلوا عن هذه الناحية
(٥) عن رياض السياحة ونزهة القلوب وإرشاد القلوب للديلمي وعمدة الطالب وفرحة الغري على اختلاف جزئي في التاريخ

كان زمن عضد الدولة فناخسرو ابن بويه الديلمي فعمره عمارة عظيمة وأخرج على ذلك أموالاً جزيلة وعين له أوقافا، ولم تزل عمارته باقية إلى سنة ٧٥٣ وكان قد ستر الحيطان بخشب الساج المنقوش فاحترقت تلك العمارة وجددت عمارة المشهد على ما هي عليه الآن (توفى المؤلف سنة ٨٢٨) وقد بقي من عمارة عضد الدولة قليل)



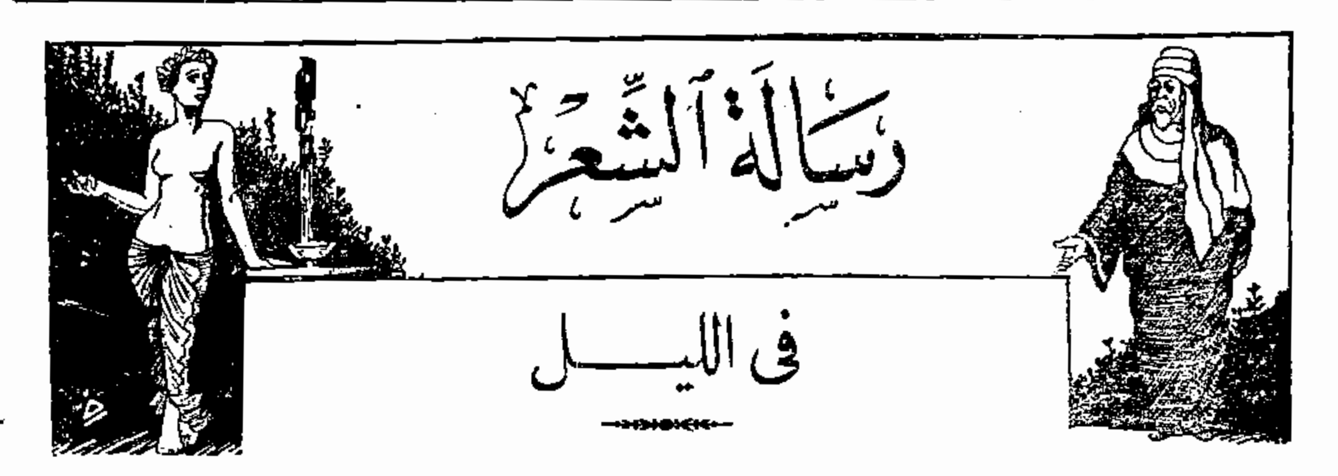
قبر الامام على (ع)

وقال آخر إن عمارة عضد الدولة من أجل العمارات ومن أحسن ما وصلت إليه يد الانسان في ذلك الوقت بذل عليها الأموال الطائلة وجلب إليها الرازة والنجارين والعملة من سائر الأقطار. قالوا [1] إن هذه العمارة وإن كان لعضد الدولة يرجع تأسيسها فقد عرضت عليها إصلاحات جمة وتحسينات قيمة من البويهيين ووزرائهم والحمدانيين ومن المستنصر العباسي الذي عمر الضريح المقدس وبالغ فيه وزاره مراراً (كما في فرحة الغري) وكذلك لقد عمر من قبل: بنى جنكزخان وغيرهم حتى وصلت العمارة إلى ما شاهده ابن بطوطة الرحالة الذي وردها بعد أن قضى حجه عام ٧٢٥ هـ وقال في رحلته: (نزلنا مدينة مشهد على بن أبي طالب (رضه) بالنجف وهي مدينة حسنة نظيفة في أرض فسيحة صلبة من أحسن مدن العراق وأكثرها ناساً وأتقنها بناء ... ودخلنا باب الحضرة حيث القبر الذي يزعمون أنه قبر على (ع) وبإزائه المدارس والزوايا والخوانق معمورة أحسن عمارة وحيطانها بالقاشاني وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه أشرق ونقشه أحسن. ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة؛ ومن تلك المدرسة يدخل إلى باب القبة عليه الحجاب والنقباء والطواشية يأمرون الزائر بتقبيل العتبة وهي من الفضة وكذلك العضادتان، ثم يدخل القبة وهي مفروشة بأنواع البسط من الحرير وبها قناديل الذهب والفضة منها الكبار والصغار، وفي وسط القبة مسطبة مربعة مكسوة بالخشب عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل مسمرة بمسامير الفضة قد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه شيء، وارتفاعها دون القامة وفوقها ثلاثة قبور يزعمون أن أحدها قبر آدم (ع) والثاني قبر نوح (ع) والثالث قبر على (رض)، وبين القبور طسوت ذهب وفضة فيها ماء الورد والمسك وأنواع الطيب يغمس الزائر يده في ذلك ويدهن به وجهه تبركا. وللقبة باب آخر عتبته أيضاً من الفضة وعليه ستور من الحرير الملون يفضي إلى مسجد مفروش بالبسط الحسان مستورة حيطانه وسقفه بستور الحرير وله أربعة أبواب عتباتها فضة وعليها ستور الحرير. وخزانة الروضة عظيمة فيها من الأموال ما لا ينضبط لكثرته[1])

(العراق. النجف الأشرف) «يتبع» ضياء الدين الدخيلي

(١) كتاب الفاضل الشيخ جعفر محبوبه

(١) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٠٩



في الليـــل

يا ليلُ طُلْ يا ليْـلْ على أليف الوِسَادْ
الويل كلُّ الويلْ لمن دهاه السهادْ

دقيقـــةٌ ساعاتْ وســـاعةٌ أيامْ
شَطْرٌ من الليل فاتْ كأنه أعــوامْ !

مُضْنًى طوَاهُ المساءْ وَلفَّــهُ في الظُّــلَمْ
فهاجت الأدواءْ في جسمه المتهــدمْ

حيرانُ ! ما يستريحْ كزورق في عُبَابْ
يشكو بقلب جريحْ ما ذاقه من عذابْ

ويرســل الأسماعْ تصغي إلى الأفواهْ
فما توَافِي الرِّباعْ بمثـــله أوّاهْ !

ويبصر الأشــجارْ من حوله وَسْنَى
وفوقها الأطيـــار تقضى الدجى أمْنَا

أكلُّ ما في الوجودْ غفوانُ حتى الجمـادْ
إلا المُعَنَّى الشريدْ فقــد جفاه الرقادْ ؟

الفجرُ ! أين سناه يشــع في مُقْلتيْــهْ
وأين طِيبُ نداه يَرِفُّ عطفاً عليــه

* * *

يا ليلُ طلْ يا ليــلْ على صريع الهوَى
سيلٌ من السهدسَيْلْ طواه فيمن طوَى

نَزَا به العِرْبيــدْ يســتعجل الوعــدا
والدهرُ جافٍ عنيدْ يزيده بُعْـــدا

كم عَاثَ بالعقربيْن في الســاعة الدائرهْ
وما هما واقفين بل عينُـهُ القاصرهْ

وكم أرَاهُ الخيـالْ في الموعـدِ المُنْتَظَرْ
دُنْيا من الآمالْ تسبِي النُّهَى والفِكَرْ

وَحان وَقتُ اللقاء ولم يُوَافِ الحبيبْ
فلم يزَلْ بالرجاء يدعوه ألَّا يخيبْ

وَبَثَّ منه العيونْ ترتادُ أقصَى مَدَى
يا مُسْرِفاً في الظنون صَفِرْتَ منها يَدَا

وعاد يطوى حشاهْ على لظًى سَــوّارْ
يضجُّ ! وا أســفاه نار ولا كالنـــار

والليــلُ عونُ الهمومْ يهيجهــا بالسكونْ
ما الليــل للمحروم إلا مَثــار الجنون

نَمْ يا خَلِيَّ الفــؤاد وانعمْ بطيب المنامْ
خَلِّ الجَوى والسُّهَادْ لِذِي الهوى والسقامْ

« منوف » فريد عين شوكة

شك وأمل

وقنعت منك بنظرة وبلفتة | وطفقت أحلم بالنعيم المقبل
أصغي إلى رنات صوتك مثلما | يصغي الغدير إلى هزيج البلبل

وشربت من هذا الحديث المشتهى
كأساً ألذ من الرحيق السلسل

كاشفتك الحب الدفين فأشرقت | عيناك تفحصني وتنكر مقولي
وظننتني ألهو بقولي مثلما | يلهو الورى في خسة وتبذل
إني أمحضك الوداد فصدق | فالشك يطعن مهجتي في مقتل
لوددت أن يبدو فؤادي حاسراً | لترى وفائي في هواك فتعدلي
ستجيئك الأيام بالخبر الذي | ينبيك عن قلبي فلا تتعجلي
أو ما قرأت الحب في عيني وفي | نبرات صوتي الواجف المتبلبل
وأبنت لي شطراً من الهم الذي | يجثو على جنبيك مثل الجندل
فبكى فؤادي حسرة وعجبت من | دنيا تغر الناظرين وتبتلي

أفمثل هذا الحسن يجرع في الأسى
ويبيت في ليل بهيم أليل

أخشى عليك لهيب حب جامح | فأصد عنك وفي صدودي مقتلي
ألقاك بالذكرى على رغم الألى | بخلوا علينا باللقاء الأول
لأطعت فيك صبابتي مستهتراً | لولا حديث الحاقدين العذل
لكن بحسبي أن قلبك عالم | بنوازعي وخوالجي وتعللي
إني لأهزأ بالعوالم كلها | مادمت أشعر أن قلبك صار لي

«الاسكندرية» عبد الحميد السنوسي

يا أيها الطفل

يا أيها الطفل أنت أغنية | غنى بها الدهر في تجاهيل
الشدو من ناظريك أسمعه | يتبع ترتيله بترتيل
واللحن من شفتيك منطلق | ينساب حراً بغير تكبيل

***

يا أيها الطفل، أنت أمنية | وأنت نبض في مهجة الزمن
كيف تراني وكيف تسمعني | أجمع ما في الحياة في قرن
وكل لحن مما بعثت به | لمن يحس الوجود جد غني!

***

يا أيها الطفل، أنت خاطرة | من قبل لاحت في خاطر الأبد!
دعا بها اللفظ وهي سانحة | فصورت بين ذلك الجسد
قد قالك الكون قبلة عجباً | في لفظة فردة ولم يزد

«دماس» العوضي الوكيل

بيجو

«كلب الأستاذ العقاد الذي رثاه
في العدد الماضي بتلك المرثية الفريدة»

(بيجو) من الأرض سلام لكا
قد عز عندي الآن أن تهلكا
لو لم تكن مستأهلاً ذلكا
لما بكى (الجبار) من أجلكا
واهتزت الدنيا لهذا الصنيع

***

دنيا الوفاء الحق لا الكاذب
والود : ذاك العجب العاجب
أين صديق الناس يا صاحبي ؟
إن لم يكن في سوقها الكاسب
أيشتري — خيرله — أم يبيع ؟!

***

خلدت (يا بيجو) ونعم الخلود
وعدت حياً أيهذا الفقيد
في عالم الذكر الذي لا يبيد
تهفو لك الدنيا بذاك النشيد
فيه أمير الشعر باك ضريع

«دمنهور» ابراهيم ابراهيم علي



مؤتمر المستشرقين في بروكسل

احتفل رسمياً في صباح اليوم الخامس من هذا الشهر بافتتاح مؤتمر المستشرقين في بروكسل وناب عن جلالة ملك البلجيك أحد كبار رجاله، وأعلن وزير المعارف افتتاح المؤتمر بخطاب ألقاه باللغة الفرنسية ثم باللغة الفلمنكية، حيا فيه الأعضاء ورحب بهم؛ ثم تلاه رئيس المؤتمر الأستاذ كافار وهو عالم كبير في الآثار المصرية وله مؤلفات ومقالات تربى على ٣٠٠، من أحدثها كتابه عن الحضارة المصرية وقد صــدر في سنة ١٩٣٦، فشكر لوزير المعارف وعدد فضــائل الأسرة المالكة في بلجيكا واهتمامها بالعلوم ولا سيما الاكتشافات الأثرية في مصر

وتكلم الدكتور طه حسين بك عن كتاب «الفصول والغايات لأبي العلاء المعري» وهو الكتاب الذي صححه وشرحه وضبطه ونشره عن نسخته الوحيدة الأستاذ محمود حسن زناتي

ثم ألقى الأستاذ ماير من جامعة القدس بحثاً عن الدراسات الاسلامية الحديثة في فلسطين ونوه بجهود الجامعة العبرية في المخطوطات وفي الحفر عن آثار الأمويين وأشار إلى النقود الاسلامية

وألقى الأستاذ محمد محمود جمعة بحثاً عن العرب في بلاد فارس في عهد الفاطميين

وفي المساء أقام حاكم بروكسل حفلة شاي فخمة لأعضاء المؤتمر خطب فيها مرحباً بهم، ورد عليه المسيو كافار

واجتمع المؤتمر في اليوم الثاني فتكلم الأستاذ سامي جبره عن اكتشافات الجامعة المصرية الحديثة وعرض بعض صورها

وألقى الأستاذ بروجلهان المستشرق المعروف بحثاً عن الشعر العربي من عهد المرحوم محمود سامي البارودي باشا ذكر فيه من شعراء مصر شوقي وحافظ وأبا شادي وخليل مطران

وتكلم الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام عن السلطان الغوري وعلاقته بالعلوم والآداب وعن مخطوط «نفائس المجالس السلطانية»

ودعي المؤتمر في المساء إلى حفلة كبيرة أعدتها لهم الحكومة؛ واحتفلت بهم في اليوم التالي جامعة لوفان. وفي الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم لبوا دعوة وزير المستعمرات وفي يوم الاربعاء ألقى الأستاذ جب المستشرق الانجليزي محاضرته في آراء أهل السنة في الخلافة. وفي يوم الخميس زار الأعضاء المكتبة الملكية وشهدوا حفلة افتتاح معرض الدراسات الشرقية

وسيرسل إلينا صديقنا الدكتور عبد الوهاب عزام خلاصة وافية عن أعمال هذا المؤتمر. وسننشر كذلك عنه فصلاً قيماً للدكتور بشر فارس، فقد شهد المؤتمر عن نفسه وعن الرسالة

حول ديوان الجارم

أخي الأستاذ الزيات

أشرتم في البريد الأدبي إلى أن مجلة الكشوف أشارت إلى سرعة إخراج ديوان الجارم، فكأنها تريد أن تقول إنه أخرج بسرعة ليضاف إلى الكتب المقررة لطلبة المدارس

فمن الخير أن أصرح بأني كنت من الداعين لإخراج هذا الديوان وقد قدمت أصوله إلى المطبعة منذ أربعة عشر شهراً، فالشبهة من هذه الناحية منتفية تمام الانتفاء

وكتب اليكم أحد الفضلاء يقول إني حين شرعت في نقد ديوان الجارم غام علي الأفق في وزارة المعارف وأخذني الرعد من كل مكان

ومن حق عليكم أن تعلموا أني لم أر في وزارة المعارف شيئاً من بوادر الغيم والرعد، ولن أتهيب كلمة الحق ولو أنذرتني السماء بالصواعق

والجارم لا يملك شيئاً من مصير ديوانه، وسأمضي في نقده بعد الفراغ من طبع كتاب التصوف الاسلامي

والعناية بنقد ديوان الجارم هي مظهر مودة لذلك الصديق . ولو كنت أضمر العتب عليه لسكت عنه . ولعله يعرف أن الثناء الذي يكال لديوانه في بعض الجرائد بلا حساب قد يكون باباً لسقوط ذلك الديوان

لقد انعدم النقد الأدبي أو كاد

فلنتوكل على الله ونواجه ذلك الصديق بكلمة الحق ، وإن كنت أومن بصواب الحكمة التي تقول : « إن قول الحق لم يدع لي صديقاً »

إن الجارم هو الصديق الذي بقي على الأيام ، فلنضفه باسم النقد إلى قائمة من أضمناهم من الأصدقاء . والقلم يجني على صاحبه في أكثر الأحيان ، وقد جنى علي ما شاء له العنف والاسراف

زكي مبارك

المؤتمر الدولي الثامن للعلوم التاريخية

أقيمت الحفلة الختامية للمؤتمر الدولي الثامن للعلوم التاريخية الذي عقد في زوريخ ، وقد وقع الاختيار على الدكتور ليلاند الأميركي ليتولى رياسة الاجتماع القادم الذي سيعقده المؤتمر في مدينة براغ في مايو سنة ١٩٣٩ . وقد أحالت المناقشة في الدعوة التي أرسلتها الحكومة الايطالية لعقد المؤتمر في روما عام ١٩٤٢

وكانت أهم ما امتازت به أعمال المؤتمر الحالي امتداد نشاطه إلى الهند والشرق الأقصى . وبدلا من أن ينظم المؤتمر الدراسة التاريخية بموضوعات مختلفة ، حاول في هذه المرة توسيع نطاق النظام الاقليمي للابحاث التاريخية، وألف ثلاث لجان لدرس أحوال البلطيق والشرق الأدنى والشرق الأقصى . وستتناول لجنة الشرق الأدنى بلاد البلقان وتركيا واليونان ومصر وفلسطين وسورية ؛ وسيكون أهم دراستها الوقوف على مدى نفوذ الفكرة الاسلامية وتأثيرها في هذه البلدان . وسيكون غرض اللجنة التحقق من حالة المعارف الحالية وزيادة عوامل الاتصال بين المؤرخين وجمع المعلومات الجديدة .

إلى الأستاذ محمد سعيد العريان

سيدي الأستاذ الجليل صاحب الرسالة :

أقرأ بإمعان الفصول الممتعة البليغة التي توالون نشرها في «الرسالة» الغراء عن حياة المرحوم الرافعي . وأشهد أن الأستاذ محمد سعيد العريان — صديق الفقيد وكاتب وحيه — قد أنفق جهداً قوياً في أن يجنب القراء مشاركته فيما يحتمل من عناء وياقي من مشقة ويذوق من مرارة الصبر والمصابرة ليظاهر لهم تاريخ حياة الرافعي كما هو من دون أن يعدل عن الأمانة التاريخية والتحقيق اللذين يفرضهما البحث الحديث فرضاً على الأدباء والمفكرين ...

وأشهد أيضاً ؛ لقد وفق الأستاذ سعيد في ترجمة حياة الرافعي ترجمة يغلب عليها الأسلوب التحليلي الفني أكثر من الأسلوب العلمي الجاف ، على ما في الثاني من قوة وسمو . فأنت ترى كيف يعرض علينا حياة الرافعي والمناسبات التي ألجأته إلى كتابة فصوله الممتعة القوية فتحس أنك أبعد شيء عن جفاء التاريخ وجفوته ، وأدنى شيء إلى جمال الفن وعذوبته ...

لن تكون حياة الرافعي وفصوله الممتعة منذ اليوم ، كما كانت من قبل ، غامضة مضطربة يتحدث عنها الأدباء بالتقريب لا بالتحقيق ، ويقولون فيها بالظن لا باليقين

بلى . ! ولسوف يجدون الرافعي عاش مخلصاً للفن يدع أهله وذويه وما هم فيه من هم وبلوى — على فقد زوجة ابنه — ليسجل على القرطاس خلجات فؤاده وشكايات ضلوعه وليخرج لقراء العربية قطعته الخالدة : « عروس تزف إلى قبرها » ...

ثم ماذا ؟ ..

ثم نود أن نسأل أخانا العريان عن سر هذا التناقض الذي وقع في السبب الذي من أجله كتب الرافعي مقالاته : الانتحار .

فالأستاذ العريان يحدثنا عن السبب بقوله : « فلما بلغ الرافعي نبأ شروعه (شروع الأستاذ م وهو ابن لشيخ كبير من شيوخ الأزهر) بالانتحار جزع وتطير وضاقت نفسه وناله من الهم مالم ينله لحادثة مما اتى في دنياه فمن أجل هذه الحادثة أنشأ مقالات الانتحار » ...

ولكن الرافعي يزعم غير هذا الزعم فيقول[1] «عند ما انتهيت إلى هذا الموضع من تصنيف هذه الكلمات ألقى إلى كتاب ورد من مدينة «حمص» يذكر فيه صاحبه ضيقاً وشدة ويسأل : (ما هو

(١) راجع العدد « ٩٥ » من الرسالة في (الاستطراد) المنشور في ذيل « كلمة وكليمة »

... الملل النفساني واليأس الدنيوي إن لم يكن الموت إن لم يكن الانتحار؟) ثم يرجو أن يتولاه أول عدد ينتهي إليه من «الرسالة» كيلا يبقى على نفسه: وها أنذا أعجل له كلات تأتي على أثرها إن شاء الله في العدد التالي مقالة الانتحار» فما هذا التناقض بين الروايتين؟.. أرجو أن يجاره لنا الأستاذ سعيد وله الشكر...

«حمص» عبد القادر جبشي

الحفلة التذكارية السنوية لجبران

كان عدد المكشوف الأخير خاصاً بوصف الحفلة التذكارية السنوية لجبران ونشر ما قيل فيها من الخطب. ولعل قراءنا لا يعلمون شيئاً من تاريخ هذه الحفلة، فنحن ننقل لهم طرفاً مما كتبت المكشوف:

عند ما توفي جبران خليل جبران منذ سبعة أعوام خلف ثروة قيل إنها تبلغ خمسين ألف دولار، أوصى بها لشقيقته مريانا التي رافقت جثمانه إلى لبنان، ثم عادت إلى بوسطن، حيث تقيم الآن

وفتحت وصية جبران فإذا هو يطلق يد ماري هاسكل في مخلفاته الأدبية ولوحاته الزيتية على أن تختار ما تشاء منها فترسله إلى بشري. أما ريع مؤلفاته الانكليزية فقد أوصى بانفاقه على المنافع العامة في وطنه الصغير

وبلغ مجموع ما أرسل إلى بشري منذ سبع سنوات إلى اليوم ٢٥ ألف ليرة لبنانية سورية، ويتراوح الدخل السنوي من المؤلفات بين ٦ و٧ آلاف دولار

وترك جبران مخطوطة كتاب بالانكليزية عنوانه «حديقة النبي». ولكن شقيقته مريانا رفضت ضم دخل هذا الكتاب إلى دخل رفاته بحجة أن الوصية تشمل الكتب المطبوعة لا المخطوطات. وكانت بينها وبين لجنة جبران الوطنية في بشري منازعة حول هذا الحق نظرت فيها المحاكم الأميركية فحكمت لها، لأن لجنة جبران لم تتمكن من إقامة وكيل عنها إلا بعد مرور الزمن بعد صدور الحكم لمصلحة مريانا

أما ماري هاسكل فقد نفذت القسم المتعلق بها من الوصية

وتتولى الآن تنفيذ القسم المتعلق بالانفاق على المنافع العامة في بشرى لجنة مؤلفة من ١٦ عضواً يمثلون جميع الأسر البشراوية ويرأس هذه اللجنة الأستاذ سليم رحمه. ويتجدد أعضاؤها كل سنتين، وهي التي تحيي كل سنة حفلة تذكارية لليوم الذي وصل فيه جثمان جبران إلى لبنان. فيقام قداس في دير مار سركيس الذي يضم بين جدرانه رفات جبران، ثم تقام حفلة خطابية يتكلم فيها أدباء بدعوة من اللجنة

وكان يوم ٢١ أغسطس الماضي موعد الحفلة التذكارية، فانتدب غبطة البطريرك الماروني سيادة المطران الحاج لإقامة الذبيحة الالهية في الصباح. وبعد الظهر غصت باحة فندق لبنان الكبير بالمدعوين إلى الحفلة الأدبية التي ترأسها سعادة فؤاد بك البريدي محافظ الشمال وحضرها جمهور غفير من الأعيان والمصطافين. وقد تعاقب الكلام عن جبران وأدبه الأساتذة مارون عبود وعمر فاخوري وخليل تقي الدين وحليم كنعان

وقد قال الأستاذ سليم رحمة في خطابه الذي تحدث فيه عن الأعمال التي قامت بها اللجنة:

«أما العمل الذي تعتبره اللجنة في مقدمة واجباتها فهو إنشاء جائزة سنوية قدرها مئتا ليرة لبنانية سورية تشجيعاً للتآليف القيمة وسعياً لتحقيق أمنية في نفس جبران عند ما كان لا يزال في قيد الحياة. ويسر اللجنة أن تساهم بهذه الجائزة في الحركة الأدبية، على أن تمنح الجائزة الأولى لأفضل كتاب يدرس جبران درساً واسعاً عميقاً شاملا. وقد سمت اللجنة في تأليف مجمع أدبي من كبار أدباء لبنان قوامه تسعة أعضاء: سبعة من حملة الأقلام المعروفين واثنان من بشرى»

ومن أنفس ما نشر في هذا العدد فقرات من رسائل تبودلت بين جبران ومي وُجدت بين مخلفاته؛ وهي تكشف عن ناحية مجهولة في حياة الصديقين العبقريين نختار منها قطعة من رسالة لمي تاريخها ١٥ يناير سنة ١٩٢٤

«... ما معنى هذا الذي أكتبه؟ إني لا أعرف ماذا أعني به. ولكني أعرف أنك محبوبي وأني أخاف الحب. إني أنتظر من الحب كثيراً فأخاف ألا يأتيني بكل ما أنتظر. أقول هذا مع علمي بأن القليل من الحب كثير. ولكن القليل في الحب لا يرضيني. والجفاف والقحط واللاشيء خير من النزر اليسير.

كيف أجسر على الافضاء إليك بهذا وكيف أفرط فيه، لا أدري. الحمد لله إني أكتبه على الورق ولا أتلفظ به، لأنك لو كنت الآن حاضراً بالجسد لهربت خجلا بعد هذا الكلام، ولاختفيت زمناً طويلا فما أدعك تراني إلا بعد أن تنسى. حتى الكتابة ألوم نفسي عليها أحياناً لأني بها حرة كل هذه الحرية.



الفلسفة الشرقية

تأليف الدكتور محمد غلاب

للاديب السيد احمد صقر

الدكتور محمد غلاب فى طليعة رجالنا الممتازين الذين جمعوا بين الثقافة العربية ، والثقافة الغربية ؛ وتذوقوا ماجمعوا ، وهضموا ما تذوقوا ، وأنتجوا مما هضموا نتاجا شهياً يمتاز بالعمق ، وجدة العرض ، وغزارة المادة ، ورشاقة الأسلوب . ويمتاز الدكتور غلاب من بين هؤلاء الأفذاذ بميله الشديد للفلسفة ، ولعل لوظيفته فى ذلك أكبر الأثر . فهو أستاذ الفلسفة فى كلية أصول الدين إحدى كليات الأزهر . ولقد كان الأزهر إلى عهد غير بعيد يحرم الفلسفة ويقذف المشتغلين بها بالزندقة والمروق ، أما اليوم فقد صارت الفلسفة بأنواعها تدرس فيه ، ووجد من رجاله من يؤلف فيها كتباً قيمة كهذا الكتاب الذى ألفه الدكتور ليسد ثغرة كانت مفتوحة فى الحياة العقلية المصرية ؛ إذ أن ثقافتنا قد بلغت فى العلوم الطبيعية شأواً يسمح لنا بالوقوف فى صفوف الأمم الراقية ، ولكنها فى العلوم العقلية ليست شيئاً مذكوراً « فلا تزال مصر مقفرة فى الفلسفة إقفاراً يندى له جبين الانسانية خجلا ، ولا تزال معارفنا الفلسفية بالقياس إلى أوربا تمد جسما بلا روح ، أو كائناً أعجم إلى جانب إنسان[1] » لذلك اعتزم الدكتور القيام بهذه المحاولة الخطيرة مسترشداً بنور الحق والواجب ففكر وقدر ثم نظر فألفى الشرق — وهو منبع الحكمة ، ومصدر العرفان — مغموط الحق ، مطمور المجد ، مجحود العظمة ، فى هذه الناحية ، فأراد أن يُنصفه من مجده ، ويظهر من حقه ، ويجلو من عظامته بكتاب الفلسفة الشرقية والفلسفة الشرقية ليست كما يصورها (بارتلمى سانت هلير) عديمة النفع « لا تفيدنا دراستها إلا من جهة إرضاء النزعة فى

(١) مقدمة الفلسفة الشرقية ص ٧

أتذكر قول القدماء من الشرقيين : إنه خير للبنت ألا تقرأ ولا تكتب؟ إن القديس توما يظهر هنا . وليس ما أبدى هنا أثر الوراثة فحسب ، بل هو شيء أبعد من الوراثة . ما هو ؟

قل لى أنت ما هو هذا ؟ وقل لى ما إذا كنت على ضلال أو على هدى ، فانى أثق بك وأصدق بالبداهة كل ما تقول . وسواء أكنت مخطئة أم غير مخطئة فان قلبى يسير اليك ، وخير ما فى يظل حائماً حواليك ، يحرسك ويحنو عليك .

غابت الشمس وراء الأفق . ومن خلال السحب العجيبة والأشكال والألوان حصحصت نجمة لامعة ، نجمة واحدة ، هى الزهرة إلاهة الحب . أترى يسكنها كأرضنا بشر يحبون ويتشوقون؟ ربما وُجد فيها من هى مثلى ، لها جبران واحد حلو بعيد بعيد ، هو القريب القريب ، تكتب اليه الآن والشفق يملأ الفضاء ، وتعلم ان الظلام يخلف الشفق ، وأن النور يتبع الظلام ، وأن الليل سيخلف النهار ، والنهار سيتبع الليل مرات كثيرة قبل أن ترى الذى تحبه ، فتتسرب اليها كل وحشة الشفق ، وكل وحشة الليل ، فتلقى بالقلم جانباً لتحتمى من الوحشة فى اسم واحد : جبران .

مصر ، ١٥ يناير سنة ١٩٢٤

وحى بغداد

صديقنا الدكتور زكى مبارك من الشعراء المقلين القلال . وقد يفيض عليه الالهام فى بعض أحواله فيطول نفَسه ويتسع مداه . وقد نظم فى هذه الأيام قصيدة عصماء بلغت أبياتها ١١١ بيت عنوانها (من جحيم الظلم فى القاهرة ، إلى سمير الوجد فى بغداد) . وقد تفضل فخص بها الرسالة ، وسننشرها فى العدد المقبل

الاطلاع دون أن يتصل بنا أسهما كثيراً ، فليس علينا أن نصعد اليها لنعرف من نحن ومن أين جئنا[١] » بل هى جهة المنافع ، حرية بالبحث والتحليل . والواجب على من أراد دراسة الفلسفة أن يبدأ بها ليكون على بينة من العناصر الأساسية التى تكون منها الجسم المراد درسه من جهة ، ولكى يصل أوائل حلقات السلسلة العقلية بأواخرها من جهة ثانية[٢] »

يقع هـذا الكتاب فى ٥٥٠ صفحة من القطع الكبير ، وهو مصدر بمقدمة اشتملت على مناهج البحث فى العصر الحديث وعلى مايجب أن يسلكه الفيلسوف فى استعراض المذاهب الفلسفية ، وما يجب أن يكون عليه من الصفات ، وما يجب أن يلاحظ من ترتيب الحوادث بعضها على بعض تبعا لقانون المنطق القويم حتى تكون نتائجه سليمة قوية ، واشتملت فوق ذلك على بحث مشكلتين عويصتين طال فيهما لجاج العلماء . وهما : أصل الفلسفة وهل هى إغريقية مبتدعة أم شرقية متبعة ؟ وتسلسل الثقافات بعضها من بعض . أما الكتاب نفسه فقد عرض فى تفصيل وتحليل دقيقين للفلسفات المصرية ، والهندية ، والفارسية ، والصينية ، والكلدانية والعبرانية ، فدرس فى مصر الحياة العقلية منذ نشأتها ، وتعقب التفكير وتطوره فى عصرما قبل التاريخ ، ثم فى عصور : منفيس ، ومدينة الشمس ، وطيبة ، فأبان بإسهاب التطورات التى تعاقبت على آراء المصريين فى الألوهية ، والنفس والآخرة ، والسؤال والميزان ، والعقاب والثواب ، والأخلاق والآداب ، والفنون والعلوم . ولعل من الطريف أن نذكر هنا أن الدكتور قال : عرف المصريون الضمير منذ أقدم عصورهم ، ووصفوه وصفا فلسفيا فقال فيه قائلهم : إن قلب الانسان هو إلهه الخاص ، وإن قلبي قد رضى عن كل ما عملته وكل من رضى قلبه عن عمله التحق بمرتبة الآلهة »[٣]

ثم انتقل الدكتور إلى الهند فتناول فيها أربعة عشر مذهبا بين دينى وفلسفى بتحليل ونقد لو أننا حاولنا تعقبهما لطال بنا الكلام ولكنا نكتفى بالاشارة إلى مدارسة « سانكهيا » التى وجد فيها المنطق قبل أن يوجد أرسطو بأمد بعيد ، ولم يذر الحديث عن الهند حتى قرر « أن الفلسفة بجميع أقسامها قد أزهرت فيها إزهارا فائقا ، وأن اليونان مدينة

(١) مقدمة الكون والفساد لأرسطو ترجمة الأستاذ احمد لطفي السيد باشا

(٢) الفلسفة الشرقية ص ١٧

(٣) المصدر السابق ص ٧٨

لتلك البلاد بكثير من نظرياتها التى يعتقد السطحيون أنها مبتدعة » وحسبك أن تعلم أنهم « وصلوا إلى نظرية الذر أو الجوهر الفرد قبل « ديموقريت » و « لوسيب » وأنهم أساتذة « فيثاغورث » أكبر رياضي اليونان على الأطلاق »[١]

وبعد أن فرغ من الهند انتقل إلى الكلام عن الفرس . فدرس الديانات القديمة ومذاهب « زرادشت » و « مانى » و « مزدك » دراسة وافيـة ممتعة . ثم عرج على الصين فتناول عصر ما قبل التاريخ . ثم العصر النهجى ، حيث درس فى عمق مذاهب : « لاهو — تسيه » و « كونفيشيوس » و « مانسيوس » والمدرسة السوفسطائية والمنطق فى الفلسفة الصينية إلى غير ذلك من المباحث القيمة . ثم عرض بما يشبه ذلك إلى الفلسفتين : الكلدانية والعبرية ، وبالأخيرة ينتهى الكتاب

ولا إخالنى بحاجة إلى أن أقول إن الدكتور أجاد العرض وأحسن القول فقرب الفلسفة إلى الناس ، بعد طول تفوروشماس ، فذلك معروف له من الفصول التى نشرتها الرسالة من الكتاب قبل ظهوره . بيد أنى بحاجة إلى أن أقول كلمة صغيرة لا أجد مناصاً من قولها الخاص) كما يسميه ذلك القديم :

ذهب الدكتور إلى أنه هو الذى أثبت بالأدلة القاطعة « سذاجة أرسطو وأذنابه في دعواهم أن الفلسفة نشأت للمرة الأولى فى « إيونيا » في القرن السادس قبل المسيح ، وأن أول فيلسوف فى الدنيا هو (طاليس المليتى[٢]) والحق أن هذا الاثبات قديم الميلاد ، وليس أدل على ذلك مما قاله الدكتور عن « ديوجين لا إرس » أنه أثبت فى كتابه (حياة الفلاسفة) : أن الشرق قد سبق الغرب فى النظر العقلى وأنه كان أستاذه وملهمه[٣] » وقد عاش هذا المؤرخ الأغريقى في القرن الثالث قبل المسيح .

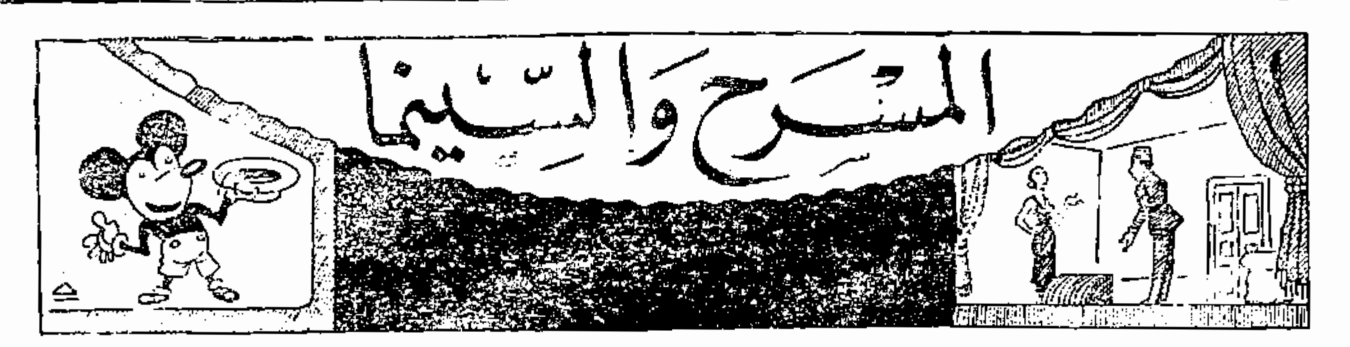
وبعد فهذه كلمة عابرة أردنا بها التعريف بهذا الكتاب العظيم الذى سيكون — إن شاء الله — عظيم الأثر فى حياتنا العقلية عامة ، وفى نهضتنا الفلسفية خاصة .

السيد احمد صقر

(١) المصدر نفسه ص ١٧٨ وما بعدها

(٢) ص ٣٤٤ (٣) ص ١٤





وسائل الإنعاش للمسرح المصري

يبدى كثير من كتاب المسرح الأسف من حالة الضعف والذبول التي وصل إليها في السنوات الأخيرة ، ونلاحظ أنهم يسرفون في إبداء ذلك الأسف ويبالغون في تصوير الدرك الذي تسفل إليه المسرح ، ويكتفون بعد ذلك بالوقوف على هيكله المحتضر وقراءة الفاتحة من أجله !

وقد جرت للكاتب محادثات طويلة مع أقطاب المسرح وعمده في مصر واتفق رأينا جميعاً على أن إنعاش المسرح المصري ينبغي له إجراء تجديد شامل في الطرق والوسائل التي يظن أنها مؤدية إلى ما نريد له من سمو وازدهار .

وخلاصة الرأي عندنا جميعاً أن هناك ناحيتين كبيرتين هما اللتان يجدر بنا أن نركز فيهما جهودنا وهما الجمهور والعرض .

وإذا نحن نظرنا ملياً في الأسباب التي من أجلها عاش المسرح في فرنسا وانجلترا واستطاع أن يقف في وجه التيار السينمائي الجارف محتفظاً بجمهوره وتقاليده ، نجد أن من أهم تلك الأسباب وجود جمهور كبير — في فرنسا وانجلترا على السواء — مسرحي الثقافة والميل ، لا يستبدل بالمسرح سينما أو استعراضاً راقصاً ولا يستغني عن مشاهد المسرحيات الحديثة ، على فداحة أسعار الدخول وتخصص المسارح المختلفة في نوع واحد من المسرحيات .

وخلق جمهور مثل هذا ليس من الأمور اليسيرة ولكنه ليس متعذراً ولا مستحيلا ، لا سيما بعد ما أخذت وزارة المعارف بنظام تعميم فرق الهواة بمدارسها على اختلاف درجاتها ، وبعدما أسست الوزارة فرقة كبيرة حبتها بأسباب البقاء والاستقرار وخصصت لها نيفاً وعشرة آلاف جنيه

ولكن قيمة (البضاعة) هي أهم العوامل في جذب العميل بلا مراء . وكلما زاد احتواؤها على الميزات والخصائص التي يرغبها ويريدها ، إزداد إقباله عليها وتشجيعه لها . وأنجح الفرق لدينا هي التي تميزت إدارتها بفهم مزاج الجمهور وميوله . ومع ذلك فهناك بدهيات عامة يتفق عليها الجميع ، ويقر بها الجميع ، وفي مراعاتها إنهاض حقيقي المسرح .

وخلاصة هذه البدهيات أن المتفرج الذي يذهب لمشاهدة إحدى المسرحيات ، يقوم في خياله أنه سوف يشاهد قصة قوية الموضوع ، واضحة الفكرة ، باهرة الاخراج ، رائعة التمثيل ، تعينه على قضاء سهرة مفيدة ولذيذة في نفس الوقت .

وروعة التمثيل مصدرها محاكاة الطبيعة والواقع والبعد عن التكلف . ومع أشد الأسف نعترف بأنه قل بين ممثلينا ومخرجينا من يجهل هذه البديهة ، ولكن قل منهم في نفس الوقت من عرف كيف يتخلص من ذلك التقليد المسرحي القديم ، وهو التهويل في كل شيء ! أما القصة فقد تحدثنا عنها في الأعداد الماضية بما يثبت أن القصة المصرية الصحيحة ، القوية الموضوع الواضحة الفكرة لم توجد بعد والنادر لا حكم له

والحركة الحركة ! فان السينما لم تكتسح المسرح إلا لأنها نشاط وحركة دائمة مستمرة؛ أما المسرح فهو ويل وتكاسل ونوم عميق

فليكن أول همنا خلق « الجمهور المسرحي » وليكن اعتمادنا في خلقه على الرغبات العملية التي نقدمها له . ولا فائدة من أية محاولة تقوم على غير هذا الأساس الواضح لكل ذي عينين

« الناقد القديم »

أخبار سينمائية ومسرحية

الانتهاء من فلم الدكتور

بتقدم العمل في إخراج فلم الدكتور بسرعة فائقة والمنتظر أن ينتهي في آخر هذا الشهر. وهو ثالث الأفلام المصرية التي يقدمها لنا «أستوديو مصر» في الموسم الذي بات على الأبواب. ويمثل الدور «الرجالي» الأول في هذا الفيلم هو الأستاذ سليمان نجيب صاحب الرواية المسرحية الشهيرة بهذا الاسم. أما السيناريو فقد شاركه في وضعه الأستاذ عسر. وتمثل الدور الأول أمامه الفنانة الموهوبة الآنسة أمينه رزق كما تقوم بدور نسائي كبير آخر السيدة دولت أبيض. ويقوم بالاخراج الأستاذ نيازي مصطفى الذي بزغ نجمه في عالم الاخراج المحلي منذ أخرج شريط «سلامة في خير» للأستاذ نجيب الريحاني

الاستاذ سليمان نجيب

فلم عزيزة أمير

ويسرنا أن نعلن على صفحات «الرسالة» عودة مؤسسة فن السينما في مصر إلى إخراج افلام لحسابها فقد شرعت السيدة عزيزة أمير في عمل سيناريو الرواية التي ألفها لها الزميل حسين فوزي. والمنتظر أن تبدأ العمل قبل نهاية شهر ديسمبر، أما اسم الرواية فلم يستقر عليه الرأي بعد

السيدة عزيزه أمير

سيمون سيمون

في أوائل هذا الشهر انتهى العقد بين سيمون سيمون النجمة الفرنسية الأصل المعروفة، وبين شركة فوكس القرن العشرين وعاملها (داريل زانوك) ومما يؤسف له أن (داريل) رفض تجديد ذلك العقد الذي بمقتضاه ظلت (سيمون) طوال العامين الماضيين تتقاضى أجراً قدره ٢٠٠ جنيه عن كل أسبوع دون أن تعمل ما يساوي ربع هذه القيمة، إذ أن الشركة لم تستفد منها كما يجب إلا في روايتي «حب وإشارات» و«وأجوزيت» وقد نشرت إحدى المجلات الأمريكية أن سيمون سوف تشتغل بصالات الرقص الغنائي في برودواي

النجمة الفرنسية سيمون سيمون

فرانك كابرا

تعرض شركة كولمبيا لفرانك كابرا رواية كبرى هذا العام باسم (أنت لا يمكنك أن تأخذها معك) ويشترك معه في تمثيلها من المشاهير (جين أرثر) و (اليونيل باريمور) وهي مسرحية فكاهية نجحت للغاية في برودواي ولها كسائر روايات هذا النجم مغزى سام



منظر من فيلم كابرا الجديد

وترى فيه (آن ميلر) زوجته في الرواية وهي تاخذ درساً في الرقص على (ميسكا اوير) بينما راح زوجها (دوب تايلور) يعزف على الساكسوفون)

والت ديزني

جددت شركة (راديو) العقد مع (والت ديزني) الرسام العالمي الشهير. ويقتضي العقد الجديد في تعهد والت بتقديم فيلم طويل واحد وثمانية عشر فلماً قصيراً للشركة في العام القادم والسبب في قصر الأفلام الطويلة على فيلم واحد هو فيلمه الطويل السابق (سيندريلا والأقزام السابعة) لم ينجح بدرجة فيه من الوجهة المالية، كما كانت به عيوب كثيرة من الوجهة الفنية.